مكتبة البنين
قسم الدوريات

مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية

السنة الثالثة ـ العدد الثالث
١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م

استلهام التراث في شعر أبي تمام

الدكتور عبدالرحمن عُطبَة

استلهام التراث في شعر أبي تمام

الدكتور عبدالرحمن عُطبَة

بسم الله الرحمن الرحيم

يمثل التراث لدى الأمم مخزونا ثقافيا وحضاريا تتوارثه الأجيال فيضمن حسن تواصل الأمة ووحدة كيانها وسلامة هويتها . والتراث يشتمل عادة على مجموعة القيم الفكرية والثقافية والاجتماعية والحضارية تتشكل في ضمير الأمة عبر العصور فتطبعها بطابعها حتى تغدو جزءا من كيانها .

ويمثل التراث لدى الأدباء بخاصة مصدر إلهام ثرّ يرفدهم بكثير من المعلومات ومن القيم ، ويزوّدهم بكثير من الشحنات الإيحائية التي تُثري إنتاجهم الفني فإن « كل معطى من معطيات التراث يرتبط بوجدان السامع تلقائيا ويخلّف في نفسه ألواناً من الدلالات قد لايخلّفها غيرُهُ من المؤثرات »[1] .

والأدباء في كل عصر قد يستلهمون تراث أمهم ، كما قد يستلهمون تراث غيرهم من الأمم .

وشعرنا القديم لم يخل من الإشارات التراثية التي تجسدّ قيماً وأفكاراً وأحداثاً وأماكن وشخصيات وتبرزها رموزاً موحية يستدعي كل منها حين وروده جميع المعاني والدلالات التي تتصل بتلك الإشارات ، ترى ذلك لدى أعداد كبيرة من شعرائنا عبر عصورنا الأدبية كلها ، نذكر منهم على سبيل المثال النابغة الذبياني والفرزدق وأبا تمام وابن دراج من القدماء ، وأحمد شوقي من المحدثين ، ونخصُّ بالذكر مجموعة من مدرسة الشعر الحديث أوغلوا في استلهام التراث ، تراثنا العربي ، وتراث أمم أخرى ، وكان استلهامهم هذا ميداناً لدراسات نقدية موسّعة ومتفاوتة في أحكامها ولسنا في هذه الدراسة ، في صدد الحديث عنها .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن حظ أي شاعر في استدعاء الإشارات التراثية يتفاوت حجماً ونوعاً بتفاوت حجم مخزونه الثقافي من جهة ، وبتفاوت قدراته على استلهام هذا المخزون وعلى توظيفه في الغرض المناسب من جهة أخرى .

---

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ص ١٨ .

إن تتبع الإشارات التراثية في شعرنا العربي وتحليل مضامينها قد يسمحان برصد جوانب تاريخية وحضارية ربما عجزت المصادر التي بين أيدينا عن تقديمها في صورة متكاملة ، وبذلك قد يتاح للشعر أن يكون له أثره في التوثيق التاريخي .

وشاعرنا أبو تمام[٢] من الشعراء الذين كانت الإشارات التراثية وفيرة ومتنوعة في شعرهم ، ويعود ذلك إلى عمق ثقافته وسعة اطلاعه ، ولا غرابة في ذلك ، فإن أبا تمام عاش في الفترة الذهبية للحضارة الإسلامية التي نضجت فيها العلوم وتعددت فيها المذاهب وتنوعت فيها الاتجاهات الفكرية ، وكان هو نفسه مولعاً بالقراءة وبحفظ روائع التراث ، وإذا صدقت الرواية التي تقول إنه كان يحفظ من الأراجيز ، دون القصائد أربعة عشر ألف أرجوزة[٣] بل إذا نزلنا بهذا العدد إلى أدنى حد ممكن من التقدير ، أدركنا مدى اتساع ثقافته وبالتالي مدى حجم مخزونه الثقافي ، كما يجب أن يضاف إلى ذلك عامل آخر هو عمق تجربته في الحياة ، هذه التجربة التي ولّدتها كثرة أسفاره من جهة وسعة اتصالاته بأنواع مختلفة من الأشخاص من جهة أخرى .

لقد كان شعر أبي تمام غنياً بالإشارات التراثية غنى يلفت أنظار القراء والدارسين . وإن المستقصي لهذه الإشارات في شعره يستطيع أن يكتشف المصادر المتنوعة التي تلهمه إشاراته ، والتي نستطيع أن نحددها بالقرآن الكريم والحديث الشريف وأشعار العرب وأقوالهم وأيامهم ووقائعهم وقبائلهم وأنسابهم ورجالهم وديارهم ، يضاف إليها ماكان يطلع عليه من علوم عصره وما تشتمل عليه من أفكار ومعلومات ، ومثل هذه المصادر المختلفة والغنيّة لايمكن أن تفرض إيحاءاتها إلا على إنسان عميق المعرفة موسوعي الثقافة .

مـــع القـــرآن الكـــريم :

القرآن الكريم كتاب عقيدة وتشريع للمسلم ، وهو في الوقت ذاته منهل حضاري ، ومنبع إيحاء فني بجمال صياغته وروعة أسلوبه .

وقد كان أبوتمام متأثراً بالقرآن الكريم تأثراً شديداً ، وقد تجلى هذا التأثر واضحاً في معانيه وفي صوره ، فقد أكثر من استخدام الآيات القرآنية في شعره بأساليب مختلفة نستطيع أن نرصد منها الأساليب التالية :

---

(٢) أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، من كبار الشعراء في العصر العباسي الأول ، ولد سنة ١٩٠ هـ وتوفي سنة ٢٣١ هـ ، والمراجع التي كتبت عنه كثيرة جدا ، وانظر بشكل خاص أخبار أبي تمام للصولي والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي .

(٣) انظر خزانة الأدب ١/١٧٢ ، وتاريخ بغداد ٨/٢٤٨ .

١ ـ استخدامه مايسميه البلاغيون « العقد » وهو أن ينظم الشاعر نثراً : قرآناً كان أو حديثاً أو مثلاً أو غير ذلك[٤] فقد كان أبو تمام يكثف بعض القصص القرآني ويورده في سياق شعري يوظف لخدمة الهدف الذي يرمي إلى تحقيقه ، وهذا اللون من الاستخدام كثير جداً في شعر أبي تمام ، وهو يستلهم معظمه من قصص الأنبياء الواردةفي القرآن الكريم . فمن قصّة هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واختبائه مع أبي بكر في الغار يستعير قوله تعالى : « ثاني اثنين إذ هما في الغار »[٥] ويوظفه شعرياً في مدح المعتصم حين صلب الأفشين بعد صلبه مازيّار وهما من الخارجين عليه ، مع الإشارة إلى المفارقة بين ثاني الاثنين في القصتين :

ولقد شفىٰ الأحشاء من بُرَحائِها ... أن صار بابَكُ جار مازيّار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... لاثنين ثان إذ هما في الغار[٦]

ومن سيرة موسى عليه السلام يستعير أبو تمام مجموعة من الأحداث التي مر بها ، ففي مدحه لمالك بن طوق وأنه بلغ منه أقصى مايمكن أن يبلغه ، يشير إلى قصة موسى حين ذهب ليأتي لأهله بقبس من النار في جبل الطور فعاد بالرسالة التي أنزلت عليه :[٧]

تبنىٰ المعالي في ظله ، وله ... حظ من الملك غير مختلس
فإن موسى ، وصلى على روحه الرب.. م. صلاة كثيرةَ القدس
صار نبيا ، وعُظْم بُغْيتِه ... في جذوة للصلاء أو قبس[٨]

ومثل ذلك اشارته إلى العجل ذي الخوار الذي عبده قوم موسى في غيبته حين أضلهم السامريّ ، مشبها ضلال الأفشين المغتر بكثرة قبيله حين أعلن كفره وتمرد على المعتصم بضلال قوم موسى حين استجابوا للسامري[٩] :

واعلم بانك إنما تلقيهم ... في بعض ما حفروا من الآبار
لو لم يكن للسامري قبيله ... ماخار عجلهم بغير خوار[١٠]

واستعار أبو تمام قصة العجل نفسها في موضع آخر حين حمل موسى قومه على الإقلاع عن

---

(٤) معاهد التنصيص ٤/١٨٢ .
(٥) الآية ٤٠ من سورة التوبة .
(٦) الديوان ٢٩٤ .
(٧) انظر الآية ٧٠ من سورة طه .
(٨) الديوان ٣١١ .
(٩) انظر الآيات ٨٨ ـ ٩٠ من سورة طه .
(١٠) الديوان ٢٣٩ .

عبادته ، وذلك في حديثه عن ممدوحه موسى بن ابراهيم الرافقي حين أصلح من شأن قومه بعد فساد :

فكأنهم بالعجل ضلوا حقبة ... وكأن موسى إذ أتاهم موسى[11]

ولما أشاد أبو تمام بممدوحه موسى الرافقي نفسه حين عاد به بعد أن قسا الزمان عليه ، ربط بين انقاذ ممدوحه له من سطوة الزمان وبين إنقاذ موسى لقومه من ظلم فرعون ذي الأوتاد :[12]

عذنا بموسى من زمان أنشرت ... سطواته « فرعون ذا الأوتاد »[13]

ومن مدحه للفضل بن صالح بن عبدالملك الهاشمي مدافعاً عنه من فِرْيَةٍ ألصقت به ، مفادها أنه قتل أخاه عبيدالله لكي يتزوج من امرأته ومؤكداً أن حججاً مضيئة كالمصابيح تبرئه منها ، جاء بقصة القتيل من قوم موسى حين اتهم بقتله غير قاتله ثم ظهرت براءة المتهم ببرهان قاطع لامجال لتكذيبه في قصة البقرة الصفراء التي دلهم عليها موسى والتي ذبحت ويسرت كشف القاتل الحقيقي :[14]

وكذب الله أقوالا قُرفْت بها ... بحجة تسرج الدنيا بواضحها

مضيئة نطقت فينا كما نطقت ... ذبيحة المصطفى موسى لذابحها[15]

ومن سورة يوسف عليه السلام يستوحي مجموعة من المعاني يضمنها أشعاره ؛ من ذلك قوله مادحاً أبا سعيد الثغري وذاكراً أحد قواده المسمى بشرا ، وكان قد خاض معركة رهيبة يحدث الأبطال فيها أنفسهم بالهرب ، إلا ان بشرا استحضر في ذهنه صورة قائده أبي سعيد وتراءى له وجهه واستحيا أن يلقاه بعد ذلك منهزماً ، شأنه في ذلك شأن يوسف حين تراءى له برهان ربه :[16]

وساعده تحت البيات فوارس ... تخالهم في فحمة الليل أنجما

وقد نَثَرَتْهم روعة ثم أحدقوا ... به مثلما ألّفْت عقدا منظما

بسافر حر الوجه لو رام سوأة ... لكان بجلباب الدجىٰ متلثما

مثلت له تحت الظلام بصورة ... على البعد أقتته الحياء فصمما

كيوسف لما أن رأى أمر ربه ... وقد هم أن يعروريَ الذنبَ أحجما[17]

---

(١١) الديوان ٣٢٢ .
(١٢) انظر الآية ١٢ من سورة الفجر .
(١٣) الديوان ٢٤٧ .
(١٤) انظر الآيتين ٧١ و٧٢ من سورة البقرة .
(١٥) الديوان ١٥٠ .
(١٦) انظر الآية ١٤ من سورة يوسف .
(١٧) الديوان ٥٤٥ .

وفي ممدوحه أبي سعيد الثغري نفسه ، وقد يحيا الناس بكرمه في بلاد الثغور في سنة مجدبة ، قارن بين هذه السنة التي نجى أبو سعيد الناس من كربها والسنوات العجاف التي ألمت بمصر وكان ليوسف فضل كشفها حين فسر حلم عزيز مصر ، ثم إنقاذه الناس منها بخطته في حفظ مخزون المحاصيل في سبع من سنوات الرخاء لهذه السبع من السنوات الشداد :[١٨]

ان ابن يوسف نجيّ الثغر من سَنَة أعوام يوسف عيش عندها رَغَد[١٩]

ومن قصة ثمود ، حين عقر سفيههم « قدار » ناقة صالح عليه السلام فكان في ذلك دمارهم ،[٢٠] من هذه القصة يستعير أبو تمام إشارة يربط فيها بينها وما آل إليه أمر الأفشين حين كفر وعصى :

وثمود لو لم يدهنوا في ربهم لم تَدْمَ ناقته بسيف قدار[٢١]

٢ ـ استعارته تعابير قرآنية مستوحاة من بعض القصص القرآني من ذلك إشارته إلى بناء ذي القرنين لسد يأجوج ومأجوج ،[٢٢] وذلك في حديثه عما لاقاه من صعاب في سفره من مصر :

فطحطحت سدا ، سدُّ يأجوج دونه من الهم لم يُفْرَغ على زبره قطر[٢٣]

ومنه أيضا إشارته إلى بسط الذراعين بالوصيد من قصة أهل الكهف وكلبهم ،[٢٤] وذلك في مدحه لمحمد بن سعيد الثغري :

رأوا ليث الفريضة وهو ملق ذراعيه جميعا بالوصيد[٢٥]

ويستعير صورة بلقيس في الحسن ، من خلال حديثه عن عرشها ،[٢٦] حين يتحدث عن جمال فتاة تغزل بها :

لولا حداثتها وأني لا أرى عرشا لها لظننتها بلقيسا[٢٧]

---

(١٨) انظر الآيتين ٤٧ و٤٨ من سورة يوسف .
(١٩) الديوان ١٩٦ .
(٢٠) انظر الآية ٥٩ من سورة الاسراء ، و٧٧ من الأعراف و١١٣ من سورة الشمس .
(٢١) الديوان ٢٩٤ .
(٢٢) انظر الآية ٩٤ من سورة الكهف .
(٢٣) الديان ٩٤٩ .
(٢٤) انظرالآية ١٨ من سورة الكهف .
(٢٥) الديوان ٢٠٦ .
(٢٦) انظر الآيات ٣١ ـ ٤٢ من سورة النمل .
(٢٧) الديوان ٣٢٠ .

٣ ـ إيراده أسماء بعض السور القرآنية ليعزز ببعض ما تشتمل عليه من آيات بعض الآراء التي يطرحها ، وذلك بشكل غير مباشر ؛ من ذلك دفاعه السياسي عن حق العباسيين في الحكم دون الطالبين لأنهم من ذوي رحم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستعيناً بحجج من القرآن الكريم لا يعرضها مباشرة بل يشير إلى أسماء السور التي اشتملت عليها ، ومثل هذا الأسلوب في الدفاع شاع لدى عدد من الشعرا إرضاء لبني العباس ، فقد جاء في قصيدة أبي تمام التي مدح بها الواثق بعد توليه الخلافة ورثى بها المعتصم قوله :

أخذ الخلافة عن أسنته التي ... منعت حمى الآباء والأعمام
فلسورة « الأنفال » من ميراثه ... آثارها ولسورة « الأنعام »[٢٨]

ففي ذكره لسورة « الأنفال » يشير إلى قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض »[٢٩] ، ومن سورة الأنعام يشير إلى قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين »[٣٠] .

ففي الآية الأولى اشارة إلى أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ، وفي الثانية إشارة إلى لوط ، واعتباره من ذرية ابراهيم ، على مقتضى سياق العطف في الآية ، وهو في الحقيقة ليس من أبناء ابراهيم بل هو ابن أخيه ،[٣١] الأمر الذي يخدم هدفه السياسي من وراء الإشارة إلى عناوين هذه السور .

٤ ـ إشارته إلى مجموعة من الآيات تندرج تحت فكرة واحدة ليخدم بها غرضا يود تأكيده ، من ذلك إشارته إلى تمثيل الله سبحانه لنوره العظيم بنور المصباح في المشكاة ،[٣٢] وذلك في قوله في مدح أحمد بن المعتصم :

لاتنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس[٣٣]

---

(٢٨) الديوان ٥٢١ .
(٢٩) الآية ٧٥ من سورة الأنفال .
(٣٠) الآية ٨٤ و٨٥ من سورة الأنعام .
(٣١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٩٢/١ .
(٣٢) الآية ٣٥ ومابعدها من سورة النور .
(٣٣) الديوان ٣١٤ .

٥ ـ اقتباسه آيات قرآنية أو أجزاء منها ، بالنص نفسه الذي وردت فيه في القرآن ، من ذلك ، اقتباسه آية « خلق الإنسان من عجل »[٣٤] في الاعتذار عن أبي سعيد الثغري الذي أبطأ في انجاز وعد مناه به :

قد كان وعدك لي بحرا فصيرني يوم الزماع إلى الضحضاح والوشل
وبين الله هذا من بريّته في قوله «خلق الإنسان من عجل»[٣٥]

ومثله أيضا اقتباسه لقوله تعالى « كن فيكون » من الآية : « وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون »[٣٦] وذلك في قوله في مدح الواثق :

جعل الخلافة فيه رب قوله سبحانه للشيء « كن فيكون »[٣٧]

ومثله أيضا اقتباسه جملة « روح وريحان » ، من الآية الكريمة : « فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم »[٣٨] .

وعلى النسق نفسه اقتبس جزءا من آية القصاص التالية : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »[٣٩] وذلك في قوله متغزلاً :

لِمَ أعرضت إذ تقنّصْت لحظا منك سرا وأنت لي قناص
هاك فاقتصّ من هواك فان . . . السن بالسن والجروح قصاص

٦ ـ ومن أساليبه في استخدام التعابير القرآنية نجده يورد بعض التعابير ذات الخصوصية القرآنية ، مع تحوير فيها دون ان يفقدها تلك الخصوصية من ذلك استعارته من الآية الكريمة « ادخلوها بسلام آمنين »[٤٠] تعبيراً محوراً هو « فادخلوا بسلام »في قوله حين مبايعة الخليفة الواثق :

هي بيعة الرضوان يشرع وسطها باب السلامة « فادخلوا بسلام »[٤١]

---

(٣٤) الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .
(٣٥) الديوان ٤٥٩ .
(٣٦) الآية ١١٧ من سورة البقرة و٤٧ من آل عمران .
(٣٧) الديوان ٦٠٦ .
(٣٨) الآية ٨٩ من سورة الواقعة .
(٣٩) الآية ٤٥ من سورة المائدة .
(٤٠) الآية ٤٦ من سورة الحجر .
(٤١) الديوان ٥٢٣ .

ومثلة أيضا قوله في مدح أبي سعيد الثغري :

لما أبوا حجج القرآن واضحة ... كانت سيوفك في هاماتهم حججا
أقبلته فخمة جأواء لست ترى ... في نظم فرسانها «أمتا ولا عوجا»[٤٢]

فقد أغار على الآية الكريمة : « ويسألون عن الجبال فقل ينفسها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » واستعار تعبيرا « عوجا ولا أمتا » بعد أن قدم فيه وأخر وجعله « أمتاً ولا عوجا » .

ومثله قوله :

فاعذلوا كيف شئتم وقولوا ... قد كفى الله المؤمنين القتالا[٤٣]

والشطر الثاني مأخوذ مع شيء من التحوير من الآية الكريمة : « وكفى الله المؤمنين القتال »[٤٤] .

وفي قوله مادحاً نوح بن عمرو السكسكي :

اشدد يديك بحبل نوح معصما ... تلقاه حبلا بالندى موصولا
ذاك الذي إن كان خلّك لم تقل ... ياليتني لم أتخذه خليلا[٤٥]

يقتبس شطرا من الآية : « ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا »[٤٦] ويحوره . والأمر نفسه يتكرر في قوله :

فاض اللئام وغاضت الأحساب ... واجتُثّت العلياء والآداب
فكأن يوم البعث فاجأهم فلا ... أنساب بينهم ولا أسباب[٤٧]

فقد اقتصر على تعبير « فلا أنساب بينهم » في قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ »[٤٨] .

٧ ـ استخدامه لألفاظ قرآنية منها « القسمة الضيزى »[٤٩] في قوله :

---

(٤٢) الديوان ١٤١ .
(٤٣) الديوان ٧٦٥ .
(٤٤) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب .
(٤٥) الديوان ٤٤٩ .
(٤٦) الآية ٢٨ من سورة الفرقان .
(٤٧) الديوان ٧٩٣ .
(٤٨) الآية ١٠١ من سورة المؤمنين .
(٤٩) انظر الآية ٢٢ من سورة النجم .

وقسمتنا الضيزى بنجد وأرضها لنا خطوة في عرضها ولهم فتر[٥٠]

ومنها استخدامه لألفاظ « المهل » و « الغسلين » و « الزقوم »[٥١] وذلك في قوله :

السحت أطيب من نوالك مطعما والمهل والغسلين والزقوم[٥٢]

ومثله أيضا قوله :

أخرجْتَهم بل أخرجَتْهم فتنة سَلَبَتْهم من نضرة ونعيم
نفلوا من الماء النمير وعيشة رغد إلى الغسلين والزقوم[٥٣]

مع الحديث الشريف والسيرة النبوية :

الحديث الشريف مكمل للقرآن الكريم في العقيدة والتشريع ، وموجه للناس في السيرة والسلوك ، وهو في الوقت ذاته آية في جمال الصياغة وروعة الأسلوب ، فقد أوتي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جوامع الكلم ، وحين قال له أبوبكر رضي الله عنه ما رأيت أفصح منك يارسول الله قال له : « ومايمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد »[٥٤] وهو صلى الله عليه وسلم يقول عن نفسه « أنا أعربكم ، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد »[٥٥] ، وقد استلهم أبو تمام بعض أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما استلهم أحداثا من سيرته ، في إشارات تراثية وردت في مواضع متعددة من شعره ، فمن الحديث الشريف يستعير قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستحيِ فاصنع ماشئت »[٥٦] ويوظفه في حكمة من حكمه :

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ماتشاء[٥٧]

أما استخدامه لتعبير « جفت الأقلام » في قوله مادحا الخليفة المأمون :

إن المكارم للخليفة لم تزل والله يعلم ذاك والأقوام

---

(٥٠) الديوان ٩٥٤ .
(٥١) انظر الآيات ٢٩ من سورة الكهف و٨ من سورة المعارج و٤٥ من سورة الدخان و٦٢ من سورة الصافات .
(٥٢) الديوان ٨٦٠ .
(٥٣) الديوان ٥٦٤ .
(٥٤) السيرة الحلبية ١/١٤٦ .
(٥٥) السيرة الحلبية ١/١٤٦ وسيرة ابن هشام ق ١/ ص ١٦٧ .
(٥٦) صحيح البخاري ٨/٥٣ والموطأ ١/١٥٨ .
(٥٧) الديوان ٧٨٤ .

كـتـبـت لـه ولأوّلـيـه وراثـة في الـلوح حـتى جـفـت الأقـلام[٥٨]

فهو مستمد من الحديث الشريف الذي رواه مسلم والذي جاء فيه « جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال : يارسول الله بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ، فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجفت به المقادير أم فيما نتقبل ، قال : بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير[٥٩] .

ومن علوم الحديث يستعير أبو تمام مصطلح (الإسناد الضعيف) في قوله مادحا أحمد بن أبي دؤاد الذي فند أكاذيب خصوم أبي تمام عليه :

بعـدمـا أصلت الـوشـاة سيـوفـا قـطـعَـتْ فيَّ وهـي غـير حـداد
من أحـاديث حـين دوختهـا بـالـرأ ي كـانـت «ضعـيفـة الإسـنـاد»[٦٠]

ومن سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشير إلى بدر مرة :

فـبـين أيـامـك التي نصرت بهـا وبـين أيـام «بـدر» أقـرب النسب[٦١]

وإلى بدر وأحد مرة أخرى :

يـوم يجيء إذا قـام الحسـاب ولم يـذمه «بـدر» ولم يفضح بـه «أحد»[٦٢]

كما يشير إلى بيعة الرضوان في قوله :

هي «بيعة الرضوان» يشرع وسطهـا بـاب السـلامـة فـادخلوا بسـلام[٦٣]

ومثل ذلك إشارته إلى المؤلفة قلوبهم في قوله لمالك بن طوق يستعطفه على من نكّل بهم من ذوي قرابته حين شقوا عليه عصا الطاعة :

لـك في رسـول الله أعـظم أسـوة وأجـلهـا في سـنـة وكـتـاب
أعـطى المؤلفـة القلوب رضـاهم كـرمـا ورد أخـايـذ الأحـزاب[٦٤]

---

(٥٨) الديوان ٤٩٢ .
(٥٩) صحيح مسلم ٤٨/٨ .
(٦٠) الديوان ١٥٣ .
(٦١) الديوان ٣٣ .
(٦٢) الديوان ١٩٥ .
(٦٣) الديوان ٥٢٣ .
(٦٤) الديوان ٣٧ .

أما في قصة الأفشين الذي كان أحد مساعدي المعتصم والذي قدم له خدمات حربية جلّى ، ثم نكّل به وصلبه بعد أن تبيه له كفره وغدره ، فقد اعتمد أبو تمام في دفاعه عن موقف المعتصم المتباين في الحالتين على الإشارة إلى حادث مماثل جرى أيام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين جعل عبدالله بن سعد بن أبي سرح من بين كتاب الوحي ، ولكن عبدالله وقتها كان يضمر النفاق فكان يغير ما يقوله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ارتدَّ فأهدر الرسول دمه ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وكان له بلاء في فتوح افريقيا[٦٥] . وقد ربط أبوتمام بين الحادثتين لتشابههما ملتمسا العذر للمعتصم في انخداعه بالأفشين :

هـذا النبي ، وكـان صفـوة ربـه ... مـن بـين بـاد في الأنـام وقـار
قـد خص من أهل النفـاق عصايـة ... وهـم أشـد أذى مـن الـكـفـار
واختـار من سعـد لعـين بني أبي ... سرح لـوحـي الـله غـير خيـار[٦٦]

مـع أيـام العـرب وحـوادثـهـم :

كان التاريخ العربي في جاهليته وإسلامه ، وما يشتمل عليه من وقائع وأحداث مصدر إلهام لأبي تمام ؛ الأمر الذي جعل الإشارات التاريخية كثيرة ومتنوعة في شعره ، يستمد بعضها من تاريخ الجاهلية ، وبعضها الآخر من التاريخ الإسلامي ، ويمزج في بعضها الآخر أحداثاً جاهلية وأخرى إسلامية . وكان يقدم هذه الإشارات في معارض مختلفة ، محكومة بأسباب ودوافع متفاوتة ، فقد ترد هذه الإشارات لديه في معرض الفخر بقومه أحياناً فإذا نافر رجلا من قبيلة تميم ، وفخر عليه بقومه أكثر من ذكر المواقف التي تعتز بها قبيلته « طيء » سواء في جاهليتها أو في إسلامها :

جمـعْـتَ جمـعَ الـعـرب الأشِـدا ... جمـعـا يـلـدّ الـظالم الأشـدا
يهـد أركـان الجـبـال هـدّا ... كـان تمـيـم لأبـيـنـا عـبـدا
أسـود نـضـاح المقـد جـعـدا ... ونـحـن كـنـا لـلـنـبي جـنـدا
يـوم « بـزاخـات »[٦٧] وردن وِرْدا ... وعـد لي «بـدرا» وعـد «أحـدا»
وطـيء قـد ألـبـسـتـني بـردا ... حـتى فخـرت فـهـزمت الـعبـدا[٦٨]

---

(٦٥) انظر أسد الغابة لأبن الأثير ٣/١٣٣ .
(٦٦) الديوان ٢٩٠ .
(٦٧) يوم بزاخات من أيام العرب في الاسلام ، كان في حروب الردة وفيه نجح عديّ بن حاتم الطائي في سحب خمسمائة من طيء كانوا مع طليحة الأسدي فحاربوا في صفوف المسلمين وكان من أسباب النصر ، واعتبر ذلك من مفاخر طيء . انظر أيام العرب في الاسلام ١٥١ .
(٦٨) الديوان ٩٤٧ .

وقد يحشد أحياناً في بعض قصائده ألواناً من الأحداث والمعارك والشخصيات والأماكن ، تتشابك وتتداخل وتثير ألواناً من الدلالات وتبدو وكأنها معرض تاريخي يعرض في سياق شعري ، نجد ذلك واضحاً في قوله من قصيدة يمدح بها اسحق بن ابراهيم المصعبي حين أوقع بالمحمرة من أصحاب بابك الخرمي :

وقائع أشرقت منهن جمْع ... الى خيفَيْ منى فالموقفين[٦٩]
محوت بها وقائع من ملوك ... وكن ، وقد ملأن الخافقين
صبيحة «خازر» أنْست ومهوى ... عبيد الله فيها والحصين[٧٠]
و«فيف الريح» إذ دلفت معد ... بأجمعها وأسرة ذي رعين[٧١]
و«أيام الذنائب» زعزعتها ... ويوم مهلهل والشعثمين[٧٢]
وأيام الكلاب غداة هزت ... مراريّين فيها مترفين[٧٣]
أخ تركت أسنته أخاه ... تليلا للجبين وللديـن
ومن «ساتيد مابرواز» فلّت ... شبا فخر فسيح الطائفين[٧٤]
بلا فيها إياس كل لدن ... وكل مصمم في العظم لْين

---

(٦٩) جمع : مزدلفة ، والخيف : موقع في منى عنده مسجد الخيف ـ الموقفان : عرفة ومنى (انظر معجم البلدان ٢/١٦٣) .

(٧٠) « يوم خازر » بين ابراهيم بن الأشتر قائد المختار بن عبيدالله الثقفي الثائر الذي ادعى انه يأخذ بدم الحسين وعبيدالله بن زياد قائد جيش الأمويين أيام عبدالملك وكانت الغلبة فيه لابن الأشتر ، والحصين هو الحصين بن نمير السكوني كان على ميمنة ابن زياد (انظر تاريخ الأمم والملوك ٦/٨٩) .

(٧١) « فيف الريح » موضع بأعلى نجد كانت فيه وقعة بين بني عامر وعلى رأسهم عامر بن الطفيل وهم من القيسية وبني الحارث بن كعب ومعهم « مذحج » وهم من القحطانية ورمز لهم بأسرة « ذي رعين » من أقيال اليمن (انظر أيام العرب في الجاهلية ١٣٢) .

(٧٢) « الذنائب » : من أيام حرب البسوس لبكر على تغلب .
والشعثمان : هما شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر والظاهر ان هذا اليوم نسب اليهم لاختصاصهما بالغلبة ـ (انظر هامش القاموس المحيط طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ص ١٤٥٥) .

(٧٣) أيام الكلاب : فيها يوم الكلاب الأول بين شرحبيل بن سلمة بن حجر آكل المرار وأخيه سلمة وكانت الغلبة فيه لسلمة ولقبهما بالمراريين نسبة إلى جدهما آكل المرار (انظر أيام العرب في الجاهلية ٤٦) .

(٧٤) « ساتيد مابرواز » : جبل قرب الموصل كانت فيه وقعة بين الروم وإياس بن قبيصة الطائي حين وجهه كسرى لمحاربتهم فهزمهم قبيصة (انظر معجم البلدان ٣/١٦٨) .

وحِجْـرا وامـرأ القيس بن حجـر ... لـيـاليَ كـاهـل وبـني قُـعَـيْنْ[٧٥]
ويـوم الـبشر أنـسَـتْـه وهـدت ... وقـائـعَ راهط وبـنـات قـين[٧٦]
ويـوم «المصـدقيـة» حين سـامـوا ... أنـوشروان خـطبـا غـير هـيْنْ[٧٧]
فغـاداهم هـريتُ الشـدق جـهمٌ ... لـدى أشـبـالـه ذو لـبـدتـين
فـأضحـوا بعـد عـز واختـيـال ... وهـم عِـبَرٌ لأهـل المشرقـين
ولـكـن أذكـرتـنـا ، يـوم بـدر ... ومشـتـجـر الأسنـة في حـنـين[٧٨]
رددت الـدين وهـو قـريـر عـين ... بهـا والكفرَ وهـو سخين عـين[٧٨]

وقد تكون الإشارات واردة في معرض النصيحة التي يقصد بها العظة والتخويف من مغبة الظلم ، كما جاء في قول أبي تمام ، ناصحا من خرجوا على مالك بن طوق من قومه :

لاتجعلوا البغي ظهـرا انـه جمـل ... من القـطيعـة يـرعى وادي النقم
نـظرت في السِيَر الأولى خَلَتْ فـإذا ... أيـامـه أكـلت بـاكـورةَ الأمـم
أفنى جديساً وطسماً كلّها ، وسطا ... بـأنجم الـدهـر من عـاد ومن إرَم
أردى كليبـا وهمـامـا وهـاج بـه ... يـوم الـذنـائب والتحـلاق للمم

---

(٧٥) بنو كاهل : فرع من أسد منهم علياء بن حارثة بن هلال قاتل حجر بن عمرو والد الشاعر امرىء القيس ، (انظر جمهرة أنساب العربي ١٩١ ، وانظر الأغاني ٩/٨٦ ، والشعر والشعراء ٥٠) .
أما بنو قعين : فمنهم الطماح الذي سعى في هلاك امرىء القيس عند ملك الروم (انظر جمهرة أنساب العرب ١٩٦ ، والأغاني ٩/١٠٠) .

(٧٦) يوم البشر : جبل في بادية الشام فيه ماء لتغلب ، وفي هذا اليوم أوقع الجحاف بن حكيم السلمي ببني تغلب فقتل أطفالهم وبقر بطون نسائهم ، فعل ذلك غضبا حين استثاره الشاعر الأخطل أمام عبدالملك بن مروان ، وضرب فيه المثل فقيل « أفتك من الضحاك » (انظر معجم البلدان ١/٤٢٦ ، ومجمع الأمثال ٢/٨٨) .
ومرج راهط قرب دمشق حدث فيه وقعة بين الضحاك بن قيس الفهري ومروان بن الحكم عام ٦٤ هـ (انظر تاريخ الأمم والملوك ٥/٥٣١) .

(٧٧) « المصدقية » : ويقصد بها « المزدكية » وهي مذهب ظهر أيام قباذ بن فيروز في بلاد فارس دعا إليه « مزدك » ودعا فيه الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم وألاّ يمنع أحدهم أخاه مايريده من ذلك ، وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ يوما فدخل عليه مزدك فلما رأى أم أنوشروان قال لقباذ ادفعها إلي لأقضي حاجتي منها ، فقال : دونكها وكان أنوشروان حاضرا فوثب إليه يرجوه أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها له ، فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان جاء بمزدك وقال له « والله ماذهب نتن جوربك من نفسي منذ قبلت رجلك إلى يومي هذا » وأمر بقتله وصلبه (انظر الأغاني ٩/٧٩ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك ٢/٩٠ ـ ١٠٣) .

(٧٨) بدر وحنين : من غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت محفوفة بالنصر .

سقى شرحبيل من سم الذعاف على أيديكم غير رعديد ولا برم
بز التحية من لخم فلا ملك متوّج في عمامات ولا عمم[٧٩]

فقد ساق أبو تمام في هذه الأبيات نماذج من جماعات وقبائل ماضية ركبوا مراكب الظلم فحل بها الدمار .

وفي معرض النصيحة أيضا ، قد تأتي الإشارات التاريخية في سياق آخر ، وذلك ما فعله أبو تمام حين طلب من أحمد بن أبي دؤاد أن يصم أذنيه عن كلام الوشاة الذين يصطنعون الزور للإيقاع به عنده ، ويذكره بقصص من أيام الجاهلية كان قول الزور فيها سبباً في كوارث كثيرة :

تثبت : إن قولا كان زورا أتى النعمانَ قبلك عن زياد
وأرث بين حيّ بن جلاح سنا حرب وحي بن مَصاد
وغادر في صروف الدهر قتلى بني بدر على ذات الإصاد[٨٠]

ولبعض الإشارات التاريخية هدف آخر ، فقد يوردها أبو تمام في معرض إصلاح ذات البين وترغيبا لممدوحه في العفو عمن شق عليه عصا الطاعة ، فقد حرص على ترقيق قلب مالك بن طوق التغلبي على حي أسامة من تغلب الأراقم وهم من أبناء عمومته ، وكانوا قد خرجوا عليه ، إنه يذكره بأيامهم في الجاهلية في نصرة قومه ، ويعدد بذلك حوادث ومواقف كثيرة لهم :

فأقِلْ أسامة جرمها واصفح لها عنه وهب ماكان للوهاب
رفدوك في «يوم الكلاب» وشققوا فيه المَزاد بجحفل غلاب
وهم «بعين أباغ» راشوا للوغى سهميك عند الحارث الحرّاب
وليالِيَ «الحشّاك» و«الثرثار» قد جلبوا الجياد لواحق الأقراب

---

(٧٨) الديوان ٥٩٠ .

(٧٩) الديوان ٥١٢ .

وطسم وجديس وعاد وإرم من العرب البائدة أودى بهم الظلم في قصص معروفة تاريخيا .

ويوم الذنائب ويوم تحلاق اللمم من أيام حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وكليب وهمام وشرحبيل كانوا من قتلاها .

(انظر أيام العرب في الجاهلية ص ١٤٦) .

(٨٠) الديوان ١٦١ .

(والنعمان هو النعمان بن المنذر وزياد هو النابغة الذبياني ، وقصة غضب النعمان على النابغة معروفة ، وبنو جلاح وبنو مصاد من أحياء العرب وذات الإصاد ماء كان الغاية في رهان داحس والغبراء ، الذي وقعت بسببه حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وبنو بدر هم حذيفة وحمل قتلوا على جفر الهباءة بعد قصة السباق في ذات الاصاد (انظر أيام العرب في الجاهلية ٢٦٤) .

فمضت كهولهم ودبَّرَ أمرهم أحداثُهم تدبيرَ غير صواب[٨١]

وكان أبو تمام يربط أحيانا بين أحداث جرت في أيامه ، ومثيلات لها جرت في القديم ، ويجعل المعارك الماضية على شدتها ، أقل شأنا من المعارك التي يتحدث عنها في عصره ، ليعزز بذلك مواقف المدح التي يكيلها لممدوحه ، بطل هذه المعارك ، ومن ذلك قوله في مدح القائد محمد بن سعيد الثغري الطائي الذي أوقع بالروم في عدة معارك :

وبوادي عقرقس لم تُعَرِّد عن رسيم إلى الوغى وعنيق
جأر الدين واستغاث بك الاسـ ـلام للنصر مستغاث الغريق
يوم بكر بن وائل بقضات دون يوم المحمر الزنديق
يوم حلق اللمات ذاك وهَذا الـ ـيوم في الروم يوم حلق الحلوق[٨٢]

وفي مكان آخر يعرض أبو تمام بخيذرة بن كاوس الملقب بالأفشين حين تمرد على المعتصم ويشير إلى عام الفجار الذي وقعت فيه معارك بين كنانة وقيس سببها البراض بن قيس من كنانة الذي فتك بعروة الرحال من قيس في الشهر الحرام[٨٣] فكانت فعلته سببا في وقوع هذه الحرب وكأن أبا تمام يربط بين فحش وغدر الأفشين وفحش ما وقع في تلك الحرب :

ما كان ، لولا فحش غدرة خيذر ليكون في الاسلام عام فجار[٨٤]

---

(٨١) الديوان ٣٦ .
يوم الكلاب الأول كان بين سلمة الذي ملكه أبوه الحارث بن عمرو ملك الحيرة على قبائل قيس عيلان وأخيه شرحبيل الذي ملكه أبوه على بكر بن وائل ، وفيه كانت الغلبة لسلمة ، وقتل شرحبيل قتله عصيم بن مالك الجشمي من الأراقم من بني تغلب وانظر أيام العرب في الجاهلية ٤٦ .
وعين أباغ : يوم كان بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والحارث بن جبلة الغساني ملك الشام وكانت الغلبة للحارث وكان معه بنو تغلب وانظر أيام العرب في الجاهلية ٥١ .
الحشاك : واد بالجزيرة الفراتية وكذلك الثرثار كانت فيهما منازل بكر ومنازل تغلب وفي الحشاك كانت وقعة لتغلب على قيس وانظر معجم البلدان ٢/٢٦٣ .

(٨٢) الديوان ٤٠٣ .
ويوم قضة أو يوم قضات ، وقعة كانت بين بكر وتغلب في حرب البسوس ، وقضة : عقبة في عارض اليمامة كانت عندها تلك الوقعة ـ انظر معجم البلدان ٤/٣٦٨ ويوم حلق اللمات أو يوم تحلاق اللمم من أيام حرب البسوس أيضا وفيه حلق بنو بكر رؤوسهم ليعرفوا بعضهم وليتميزوا عن خصومهم ، واستبسلوا في الحرب وكانت الغلبة لهم ـ انظر أيام العرب في الجاهلية ١٦٠ .
(٨٣) انظر البداية والنهاية ١/٢٨٩ .
(٨٤) الديوان ٢٩١ .

أما معركة ذي قار بين العرب والفرس وهي من مفاخر العرب في جاهليتهم فقد ورد ذكرها أكثر من مرة في شعر أبي تمام ، تحدث عنها مرة في مدحه لخالد بن يزيد الشيباني ، وذكرها بين أمجاد أجداده بني شيبان الذين كانوا وقود تلك المعركة :

أولاك بنو الأحساب لولا فَعالهم ... درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم «ذي قار» مضى وهو مفرد ... وحيد من الأشباه ليس له صحب
هو المشهد الفصل الذي مانجابه ... لكسرى بن كسرى لاسنام ولا صلب[٨٥]

كما تحدث عنها مرة أخرى في إشارات مكثفة مزج فيها مجموعة من أحداث الجاهلية وذلك في قوله مادحا أبا دلف العجلي الشيباني :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذي استرهنوا قوس حاجب[٨٦]

فهو يشير إلى المكرمة التي سجلها حاجب بن زرارة سيد تميم لقومه حين رهن قوسه عند كسرى ضمانا لقومه من عدم تعديهم على أموال وزراعة العراق حين دخلوه في عام قحط عم ديارهم[٨٧] ، وكانت تلك أكرومة يفخر بها بنو تميم ، وفي الأبيات السابقة ، يفخر بشيبان قبيلة ممدوحه ، لأنهم في ذي قار هم الذين غلبوا الأكاسرة راهني قوس حاجب[٨٧] .

ومن تاريخ أمم أخرى غير الأمة العربية نجد إشارات إلى الفراعنة وإلى هامان وقارون ، كما نجد إشارات إلى بعض أساطير الفرس كأسطورة الضحاك الذي كان ملكا ظالما قاسيَ الناس منه كثيرا ، ثم تخلص منه أفريذون ، وهي أسطورة لها روايات كثيرة معظمها لايقبلها المنطق ،[٨٨] وقد أوردها أيضا في مدحه للأفشين حين تغلب على بابك الخرمي ، يوم أن كان الأفشين لايزال في خدمة المعتصم :

هيهات لم يعلم بأنك لو ثوى ... بالصين لم تبعد عليك الصين
ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان في الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك في سطواته ... بالعالمين وأنت أفريذون[٨٩]

---

(٨٥) الديوان ٧٩ .
(٨٦) الديوان ٨٦ .
(٨٧) انظر العقد الفريد ٢/ ٢٠ .
(٨٨) انظر شرح الخطيب التبريزي لديوان ابي تمام ٣/٣٢١ . وانظر مروج الذهب ١/٢٢٣ .
(٨٩) الديوان ٦٠٣ .

هذه الأحداث التي استمدها أبو تمام من تاريخ العرب وتاريخ غيرهم في الجاهلية والتي تدل على سعة اطلاعه على التراث القديم ، لها مثيلات في شعره من التاريخ الاسلامي ، فهناك إشارة تاريخية ذات دلالات إدارية وحضارية في مطلع تشكيل الدولة الاسلامية ، أشار لها أبو تمام ، وغفلت كثير من كتب التاريخ عنها وكانت إشارته هذه موجزة ومقتضبة ، ولكنها وافية ، وكان ذلك في قوله :

لم ينتدب عمر للإبل يجعل من جلودها النقد حتى عزَّهُ الذهب[٩٠]

فهو يشير إلى محاولة عمر رضي الله عنه صنع دراهم من جلود الجمال بعد ان كثر غش الدراهم المعدنية ، فنبهه بعض الناس إلى أن ذلك قد يفني الإبل فعدل عنه ، ولم نجد في المراجع التاريخية الكثيرة التي عدنا إليها أي ذكر لهذه الواقعة اللهم إلا إشارة موجزة وردت في « فتوح البلدان » للبلاذري جاء فيها ، بعد حديث موجزعن غش الدراهم : « ولقد كان عمر بن الخطاب قال : هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل ، فقيل له : إذا لا بعير ، فأمسك »[٩١] .

وفي معركة صفين كان عدي بن حاتم الطائي مع علي ـ رضي الله عنه ـ وفي هذه المعركة قتل ثلاثة من ولده هم « طريف وطَرَفة ومُطرِّف » الذين يقال لهم « الطَّرَفات» .

وقد استعار أبو تمام نكبة عدي بأبنائه في تعزية مالك بن طوق في أخيه قاسم وفي مواساته ، وتذكيره بمصاب عدي الذي كان أعظم من مصابه ولكنه تجلد له وصبر عليه :

وللطَّرَفات يوم صفين لم يمت خفاتا ولا حزنا عدي بن حاتم[٩٢]

وفي القصيدة نفسها ، وفي محاولة لتخفيف حزن مالك على أخيه يذكره بمن أصيب قبله ، ومنهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين توفي ولده القاسم ومنهم الأشعث بن قيس بن معديكرب الذي كان مع علي يوم صفين ، ومات ابن له فقال له علي « اسل صبرا واحتسابا قبل ان تسلو غفلة ونسيانا كما تسلو البهائم »[٩٣] :

شجا الريحَ فازدادت حنينا لفقده وأحدث شجوا في بكاء الحمائم
فمن قبله ما قد أصيب نبينا أبو القاسم النور المبين بقاسم
وقال على في التعازي لأشعث وخاف عليه بعض تلك المآتم

---

(٩٠) الديوان ١٠٣ .
(٩١) فتوح البلدان ٤٥٦ .
(٩٢) الديوان ٥٥٩ ، وانظر القاموس المحيط مادة « طرف » .
(٩٣) انظر العقد الفريد ٣/٣٠٣ .

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر أم تسلو سلو البهائم[٩٤]

وفي دفاعه عن المعتصم حين قتل الأفشين بعد أن اختاره فأدى له غرضا ، ثم انكشف غدره وكفره ، وكان قد مر بنا لون من هذا الدفاع عنه من قبل ، في دفاعه هذا ، يلجأ إلى إشارة تاريخية أخرى مشابهة تتمثل في ظاهرة المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ظهر في الكوفة مدعيا أنه يطالب بدم الحسين ودماء من قتلوا معه في كربلاء ، والذي نجح في تنفيذ خطته واستأصل معظم من قادوا معركة كربلاء ، ثم تبين كذبه وخداعه حين ادعى النبوة فكان مصيره القتل :[٩٥]

والهاشميون استقلت عَيْرهم من كربلاء بأثقل الأوتار
فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختار
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا منه بِراءَ السمع والأبصار[٩٦]

إن تكثيف قصص تاريخية مطولة ، بإشارات مقتضبة ووافية ، يتكرر في شعر أبي تمام كثيرا ، وقد طالعتنا أمثلة منه ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك إشارته إلى قصة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة حين هرب هو وأخواه من سجن الحجاج الذي اعتقله بأمر من الوليد بن عبدالملك فالتجئوا إلى سليمان بن عبدالملك فشفع لهم عند أخيه الوليد وأرسل معهم في الأغلال ابنيه أيوب وعبدالعزيز ، فعفا الوليد عنهم وأعادهم إلى سليمان معززين[٩٧] ، وكان أبو تمام قد أتى بهذه الإشارة في مجموعة أبيات حاول فيها تبرئة نفسه من تهمة ألصقت به لدى أحمد ابن أبي دؤاد واستشفع معها بالقائد خالد بن يزيد الشيباني وفيها يطلب من ممدوحه أن يتثبّت من صحة مارموه به لديه ، لأن حاله سيكون حين يقبل عذره وشفاعة خالد به مثل حال يزيد بن المهلب لدى الوليد حين قبل شفاعة سليمان به :

وغدا تَبَيُّنُ ما براءة ساحتي لو قد نفضتَ تهائمي ونجودي
هذا الوليد رأى التثبت بعدما قالوا : يزيد بن المهلب مودي
وتمكن ابن أبي سعيد[٩٨] من حجا ملك بشكر بني الملوك سعيد
ما خالد لي دون أيوب ولا عبدالعزيز ولستَ دون وليد[٩٩]

إن هذه الصور من استخدام أبي تمام للاشارات التاريخية في معارض مختلفة من ألوان الاستشهاد

---

(٩٤) الديوان ٥٥٨ .
(٩٥) انظر الاعلام ١٩٢/٧ ، وانظر القاموس الحيط مادة « كيس » .
(٩٦) انظر الديوان ٢٩١ .
(٩٧) انظر البداية والنهاية ٧٨/٥ .
(٩٨) أبوسعيد : كنية المهلب بن أبي صفرة والد يزيد .
(٩٩) الديوان ١٦٧ .

تدل على سعة اطلاعه على التاريخ ، وعلى عمق استيعابه لأحداثه وقدرته على توظيفها في المجالات التي يرغب ان يدعمها بشواهد تعزز مايأتي به من آراء .

مع الشـــخصـــيات التاريخـــية :

وإذا كان أبو تمام قد أكثر من الإشارات إلى حوادث ووقائع من التاريخ ، فإنه أكثر أيضا من الإشارات إلى شخصيات تاريخية كانت تمثل له رموزا لقيم وكان يوظفها في خدمة الأغراض التي يتعرض لها في شعره .

والشخصيات التاريخية التي يستشهد بها ، متنوعة وتغطي ألوانا من الفعاليات ومساحات من التاريخ ويمكننا بعد رصدها أن نجملها في الفئات التالية :

١ ـ الأنبياء والرسل والشخصيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ القديم :

أكثر أبو تمام من ذكر الأنبياء والرسل ، في مناسبات مختلفة من شعره ، فقد تحدث عن آدم حين قارف الذنب بمخالفته أمر ربه فأكل من الشجرة التي نُهي عن القرب منها ، أورد ذلك في سياق غزلي عرض فيه أبو تمام لذنبه لدى محبوبته :

بـأبي شـادن تـنـسـمـت مـن عـيْـ ـنَيْـه يـوم الخميس ريـح الصـدود
صـار ذنـبي كـذنـب آدم يـاعمـ ـرو فـأخـرجت من جنـان الخلود[١٠٠]

وقد أشار إلى نوح عليه السلام ذاكرا ثناء الله عليه في قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا »[١٠١] وقد ربط أبو تمام بين شكره لممدوحه وشكر نوح لربه :

يـامانحي الجـاه إذ ضن الجـواد بـه شكـريك مـاعشت للأسـماع ممنـوح
لم يلبس الله نـوحـا فضـل نعمتـه إلا لمـا بـثـه مـن شـكـره نـوح[١٠٢]

وفي موقع آخر جاءت إشارة أخرى إلى نوح في ذكر عابر رمز فيه للبعد الساحق لعهد نوح ، وربط معه في الإشارة نفسها شيثا ابن آدم ورد ذلك في حديث أبي تمام عن طريق موحش ركبه إلى ممدوحه ولم تطرقه قدم بشر منذ أزمان سحيقة :

---

(١٠٠) الديوان ٧٢٩ .
(١٠١) الآية ٣ من سورة الاسراء .
(١٠٢) الديوان ١٤٤ .

ولاحب مشكل النواحي منخرق السهل والوعوث
لم تُزجر العيسُ في قَراه مذ عصر نوح وعصر شيث[١٠٣]

وكذلك ورد ذكر لابراهيم الخليل عليه السلام في معرض إشادة أبي تمام بجود ممدوحه وأن ابراهيم الخليل هو أول من سن القرى للناس :

للجود سهم في المكارم والتقى ما ربُّه المُكْدي ولا المسهوم
وبيان ذلك أن أول من حبا وقَرىٰ خليلُ الله ابراهيم[١٠٤]

كما جرى ذكر لاسماعيل وهود عليهما السلام في مدحه لأحمد بن أبي دؤاد الذي كان ملجأ للعرب عدنانيهم وقحطانيهم ، ورمز للعدنانيين بذكر اسماعيل وهم من نسله ، وللقحطانيين بذكر هود ، وهم ، بحسب بعض الروايات ، من نسله :[١٠٥]

هيهات منها روضة محمودة حتى تناخ بأحمد المحمود
بمُعَرَّسِ العرب الذي وجَدَتَ به أمْنَ المَرُوع ونجدة المنجود
حلت عرا أثقالها وهمومها أبناءُ اسماعيل فيه وهود[١٠٦]

أما يوسف عليه السلام ، فقد كرر أبو تمام الإشارات إلى حسنه في مناسبات متعددة من الغزل ، منها قوله :

ما استجمعت فرق الحسن التي افترقت عن يوسف الحسن حتى استجمعت فيه[١٠٧]

ومنها قوله :

قرين الصبا في وجنتيه ملاحه ذكرت بها أيام يوسف في الحسن[١٠٨]
فأغضبته أن قلتُ يا أحسنَ الورى وكاد بأن يفضي إلى الشتم واللعن
إذا غاظ وصفُ الناس بالحسن أهلَهُ فلمْ لم يخرّقْ ثوبَه يوسف الحسن[١٠٩]

---

(١٠٣) الديوان ١٣٦ ـ وحول شيث بن آدم ـ انظر دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ١٣/٤٦٧ ، وتاريخ الأمم والملوك ١/١٥٨ وما بعدها ـ الوعث : السبيل العسر .

(١٠٤) الديوان ٥٨٥ ـ والمكدي : المفتقر والمسهوم : المغلوب .

(١٠٥) انظر شرح محمد محيي الدين عبدالحميد لديوان أبي تمام ١/١٩١ ، وانظر رد نسبة القحطانيين إلى هود ، في مناقشة ابن حزم لهذه القضية في جمهرة أنساب العرب ص ٧ .

(١٠٦) الديوان ١٦٥ .

(١٠٧) الديوان ٧٨٢ .

(١٠٨) الديوان ٩٣٥ .

(١٠٩) الديوان ٧٧٧ .

أما حديثه عن يوشع عليه السلام فقد جاء في المطلع الغزلي لقصيدة له في مدح أبي سعيد الثغري :

فَـرُدّتْ علينا الشمس والليـل راغم ... بشمس لهم من جانب الخدر تـطلع
نضا ضوءها صبغ الـدجنّة فـانطوى ... لبهجتهـا ثـوب السـماء المجـزع
فـوالله مـا أدري أأحـلام نـائم ... ألمت بنـا أم كان في الـركب يوشـع[110]

فقد أشار فيه إلى وقوف الشمس ليوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف في القصة المشهورة التي ورد ذكرها في كتب الحديث وفي كتب التاريخ والتي وقفت فيها الشمس ليوشع حين دعا ربه أن يحبسها عليه حتى يتمكن من فتح بيت المقدس عصر الجمعة ، وقبل أن يدخل عليه يوم السبت[111] .

وهناك ذكر لسام وحام ويافث أبناء نوح عليه السلام ، وإلى أبيهم نوح في قوله واعظا ومعتبرا :

هبيني من الـدنيـا ظفـرت بكـل مـا ... تمنيت أو أعـطيت فـوق أمـانيـا
أليس الليـالي غـاصبـاتي بمهـجتي ... كـما غصبت قبلي القـرون الخـواليا
ومسكنتي لحـدا لـدى حفـرة بهـا ... يـطول إلى أخـرى الليـالي ثـوائيـا
كـما أسكنت ساما وحـاما ويـافثا ... ونـوحـا ومن أضحى بمكـة ثـاويـا[112]

كما تحدث عن سام وحام في معرض الحديث عن ألوان الوجوه ، لأن ساما أبو العرب ولأن حام أبو السودان وأمم غيرهم[113]

ومقـاتلين إذا انـتمـوا لم يخـزهـم ... في تصرك الأخـوال والأعـمام
سَفَـعَ الـدُءوبُ وجـوههم فكـأنهم ... وأبـوهـم سـام أبـوهـم حـام[114]

أما لقمان الذي أوتي الحكمة[115] فقد أكثر أبو تمام من ذكره ، ولعل اهتمام أبي تمام بالحكمة ،

---

(١١٠) الديوان ٣٤٦ والمجزّع : من الأشياء ما كان ذا لونين مختلفين .
(١١١) انظر صحيح البخاري ٤/١٨٩ وصحيح مسلم ٥/١٤٥ ومسند أحمد بن حنبل ٢/٣٢٥ ، وانظر أيضا البداية والنهاية ٦/٢٨١ .
(١١٢) الديوان ٩٦٨ وانظر عن سام وحام ويافث : سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب ص ٣٠ .
(١١٣) انظر جمهرة أساب العرب ٤٦٣ .
(١١٤) الديوان ٤٩٠ .
(١١٥) هو لقمان ابن باعوراء ، وهو ابن أخت أيوب أو ابن خالته أو من أولاد آذر ـ قيل عاش إلى مبعث داود واختلف هل هو نبي ، وقال ابن عباس : كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته وقد وصفه القرآن الكريم « ولقد آتينا لقمان الحكمة » . وانظر دائرة معارف القرن الرابع عشر ٨/٣٧٠ ، وانظر الآيتين ١٢ و١٣ من سورة لقمان .

وبالفكر كان باعثا له على الإشادة بحكمة لقمان ، فقد تحدث عنه في قوله مادحا محمد بن عبدالملك بن صالح الهاشمي ومشبهاله بلقمان :

لـقـمان صمتـا وحـكـمـة فـإذا قـال لقـطنـا الـدر من خـطبـه[١١٦]

وذكره أيضا خلال حديثه عن هول ما لاقاه ممدوحه اسحق بن ابراهيم المصعبي في احدى المعارك :

في سـاعـة لـو أن لقـمانـا بهـا وهـو الحكيم لصـار غـير حكيم[١١٧]

كما تحدث عن حكمة وسداد أحد ممدوحيه من بني عبدالكريم الطائيين فشبهه بلقمان في حكمته وسداده :

فـان شهـد المقـامـة يـوم فصـل رأيـت نـظير لـقـمان الحـكـيـم[١١٨]

وفي وصف طريقه إلى الحج ، وذكر ما لاقاه من صعوبة بعض الديار ووعوثتها ومن دماثة ديار أخرى ورقتها ، جاء ذكر للقمان في معرض من وصفه بالعطف والحنو :

وقـد أممت بيـتَ الـله نـضْـوا عـلى عـيرانـة حـرف سـعـوم
أتيت الـقـادسيـة وهـي تـرنـو إليّ بـعـين شـيـطان رجـيـم
فـما بـلغت بـنـا عـسـفـان حتى رنـت بـلحـاظ لـقـمان الحكيـم[١١٩]

أما هاروت الذي ذكره القرآن وقرنه بماروت ،[١٢٠] وهما اللذان يعلمان السحر ، فقد أشار إليه أبو تمام في حديثه عن سحر عيني محبوبته :

وكـل حسن فمن عـينـيـك أولـه مذ خط هاروت في عينيك عسكره[١٢١]

والأعور الدجال الذي ورد ذكره في كثير من الأحاديث الشريفة[١٢٢] جاء ذكره مرتين في معرض الذم في شعر أبي تمام ، احداهما وردت خلال هجاء أبي تمام لعتبة بن أبي عاصم دفاعا عن بني عبدالكريم الطائيين الذين هجاهم عتبة :

---

(١١٦) الديوان ٤٩٣ .
(١١٧) الديوان ٥٦٤ .
(١١٨) الديوان ٤٩٤ .
(١١٩) الديوان ٩٣١ ـ والعيرانة : الناقة ـ الحرف : الشديدة ـ السعوم : السريعة .
(١٢٠) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
(١٢١) الديوان ٧٤٠ .
(١٢٢) انظر بشكل خاص صحيح البخاري ، الأحاديث رقم ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ في الجزء الرابع ص ٣٢١ .

أي ولـيـد رأى سـيـوفـهـم في الحـرب مـشهـورة فـلم يشب
ان رمت تصـديـق ذلـك يـا أعـ ـور الـدجـال فـالحظْهم ولا تـذب[١٢٢]

أما المرة الثانية التي ورد فيها ذكره فقد جاءت في معرض هجاء أبي تمام لبابك الخرمي حين وصف الشرور التي كان يقارفها بأنها كانت أشد أذى وتنكيلا من أفعال الأعور الدجال :

لـو عـاين الـدجـال بعض فعـالـه لانهَلَّ دمـع الأعـور الـدجـال[١٢٣]

٢ ـ الرؤساء والقادة والأبطال :

كان لهذه الفئة من الناس حظ كبير في شعر أبي تمام ، فهم وجوه الناس في أزمانهم ، ولهم من الشيم والسجايا مايحسن الحديث عنه والاستشهاد به ، وأمثال هؤلاء الناس كثيرون في تاريخنا ، فمن زعامات قريش يشير أبو تمام إلى قصي بن كلاب الذي كان يلقب بالمجمع لأنه جمع قريشا حوله حين أخرج خزاعة من مكة وأحل قريشا محلهم في رعاية البيت وتولى هو نفسه قيادة ذلك[١٢٤]، ووقعت إشارة أبي تمام إلى المجمع خلال قصيدة له في رثاء رجل معاصر قرشي النسب هو ادريس بن بدر الشامي القرشي ، وقد ربط أبو تمام بين حزن قريش عصره على مرثيه وحزن قريش على قصي بن كلاب يوم وفاته :

ومـاتت نفـوس الغـالبيـين كلهم وإلا فـصـبر الـغـالـبـيـين أجمـع
غـدوا في زوايـا نعشـه ، وكـأنمـا قـريش قـريش يـوم مـات المجمـع[١٢٥]

وفي مدحه لمحمد بن عبدالملك بن صالح الهاشمي ، وهو من سراة العباسيين ، يذكره بأجداده الذين يعتبرون مناطا للفخر فيشير إلى العباس بن عبدالمطلب وإلى أبيه عبدالمطلب بن هاشم ، وهما عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجده :

من ذا كعباسه إذا اصـطكت الأحـ ـسـاب أم مـن كعبـد مـطلبـه[١٢٦]

ويفعل مثل ذلك أيضا في مدحه للفضل بن صالح بن عبدالملك بن صالح الهاشمي حين يشير بشكل غير مباشر إلى جده هاشم بن عبد مناف وإلى الهاشميين من بعده ، وهاشم على الحقيقة هو لقب لحق به حين هشم للناس الخبز ونحر لهم الإبل وثرد لهم في عام مجاعة حتى أشبع الناس[١٢٦] .

---

(١٢٣) ٤٥٧ .
(١٢٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٧١ .
(١٢٥) الديوان ٦٧٩ .
(١٢٦) الديوان ١١١ .
(١٢٦) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٧٥ واسم هاشم الأصلي هو (عمرو) .

هشـما لأنف المسامي حينـه فسماً لهاشم ، فضلها فيها ابن صالحها[١٢٧]

وفي غير هذه الوجوه من قريش كانت لأبي تمام جولات من الحديث عن رجال آخرين من زعماء العرب في جاهليتهم وإسلامهم عرفوا بمواقف أو مناقب ، وكانت الإشارات إليهم ترمز إلى مواقفهم أو مناقبهم التي يرغب في توظيفها في المعاني التي يود عرضها ، فمن الجاهلية أشار إلى شخصين عرفا بالاغتراب هما : قيس بن زهير أمير عبس وداهيتها وهو الذي قاد قومه في حروب داحس والغبراء ، ثم زهد آخر عمره واغترب عن ديار قومه ورحل إلى عمان[١٢٨] . أما الآخر فهو الحارث بن مضاض من جرهم وكان يتولى رعاية البيت الحرام ، ثم خرج من بلاده يجول في الأرض وضربت الأمثال باغترابه :[١٢٩]

ان خـيرا ممـا رأيت مـن الصـفـ ـح عـن النـائبـات والاغـماض
غـربـة تقتـدى بغـربـة قيس بـ ـن زهـير والحـارث بن مُضـاض[١٣٠]

وحين مدح أبو تمام أبا المغيث موسى الرافقي في قوله :

لاتُنكـرَنْ ان يشتكي ثقل الهـوى بـدني فـما أنـا مـن بقيـة عـاد
كم وقفـة لي في الهـوى مشهـورة مـاكنت فيها الحـارث بن عبـاد[١٣١]

جاء بذكر الحارث بن عباد على أنه مثال في التجلد والتحمل ، والحارث هذا هو أحد حكماء وحلماء العرب ، وأحد شجعان بني بكر وقصته حين اعتزل القتال في صف قومه بكر في حرب البسوس ، مشهورة ، ثم بقى على موقفه حتى بعد قتل المهلهل لابن أخيه بجير ظلما ، حين أرسله في الصلح وبلغ من حلم وحكمة الحارث أنه أمل أن يكون دم ابن أخيه سبباً للصلح ولكن المهلهل ازداد في تجبره واعتبر دم بجير كفاء شِسْع نَعْلِ أخيه كليب ، الأمر الذي أثار عبادا ، فأطلق قصيدته المشهورة التي كرر فيها مرات عديدة الشطر الذي يقول فيه « قرّبا مربط النعامة مني »[١٣٢]، والنعامة اسم لفرسِه .

وفي سياق تحذير أبي تمام لبني مالك التغلبيين من مغبة التمرد على ممدوحه أبي سعيد الثغرى الطائي يشير أبو تمام إلى الحارث بن عباد نفسه ، فهو ينبئهم بأن ممدوحه أبا سعيد سيكون لهم الأب الحاني

---

(١٢٧) الديوان ١٤٨ .
(١٢٨) انظر خزانة الأدب ٣/٥٣٦ .
(١٢٩) انظر مروج الذهب ٢/٥٠ ، والأعلام ٢/١٥٧ .
(١٣٠) الديوان ٣٤٢ .
(١٣١) الديوان ٢٤٦ .

حين رغبتهم في رضاه اذ سيكون لهم بمثابة آبائهم زهير ومالك[١٣٣] أما حين لا يَرْعَوُون عن غِيّهم ويسترسلون في تمردهم فسيكون لهم بمثابة الحارث بن عباد في غضبته حين قُتل بجير :

أتاكم سليل الغاب في صدر سيفه ... سناً لدجى الإظلام والظلم هالك
ألحَّ ، وما حَكَّتْمْ ، وللقَدَر التقي ... غريمان في الهيجا ملحٌّ وماحِكُ
هو «الحارث» الناعي «بُجَيْرًا» وان يُدَنْ ... له فهو إشفاقا زهير ومالك[١٣٤]

وحين مدح أبو تمام مالك بن طوق أمير الرحبة وهو تغلبي من نسل عمرو بن كلثوم الفارِس الجاهلي المشهور ربط في المكام بين ممدوحه مالك بن طوق ، وجده الأعلى عمرو بن كلثوم فقال :

فجاء ، والنسب الوضاح جاء به ... كأنه بهمة فيهم من البهم
طِعانُ عمرو بن كلثوم ونائلُهُ ... حَذْوَ السيور التي قُدَّتْ من الأدم
لو كان يملك عمرو مثلها شَبَهًا ... من صلبه لم يجدْ للموت من ألم[١٣٥]

أما من المخضرمين والإسلاميين فقد كان لمجموعة منهم حظ أيضا في شهر أبي تمام ، لقد أشار إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي[١٣٦] الذي شهر بالشجاعة وعرف بسيفه « الصمصامة » والذي شهد الفتوح الإسلامية وكان له فيها بلاء فقد أكثر أبو تمام من ذكره في شعره ، أشار إليه وإلى الصمصامة مرتين ، إحداهما في قوله معاتبا أحد بني عمومته من طيء :

صمصامتي اتهموني في صيانتها ... هل كان عمروٌ على الصمصام يتهم[١٣٧]

والثانية في قوله مستنجزا عبد الله بن طاهر وعداً كان قد تقدم به إليه ثم تأخر في تنفيذه :

لولا الأمير وأن حاكم رأيه ... في الشعر أصبح أعدل الحكام
لثكلت آمالي لديه بأسرها ... أو كان إنشادي خفير كلامي
ولخفْتُ في تفريقه ما بيننا ... ما قيل في عمرو وفي الصمصام[١٣٨]

---

(١٣٢) انظر الأغاني ٤٧/٥ .

(١٣٣) انظر نسب عدنان وقطحان ص ٢٧ ومالك أبوبطن من الأراقم من بني تغلب وإليه ينسب المالكيون المشار إليهم في القصيدة اما زهير فهو زهير بن جشم وهم بطن آخر من الأراقم منهم بنو عتاب ، وكلا الحيين مالك وعتاب كانوا يسكنون الجزيرة الفراتية أيام أبي تمام .

(١٣٤) الديوان : ٤١٢ .

(١٣٥) الديوان ٥٠٩ .

(١٣٦) انظر الاصابة ١٩/٣ (الترجمة ٥٩٣٢) وانظر خزانة الأدب ٤٢٥/١ .

(١٣٧) الديوان : ٩٠٧ .

وفي البيت الأخير إشارة مكتفة إلى حكاية الصمصامة حين بعث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى عمرو أن يبعث إليه بسيفه الصمصامة فبعث به إليه فلما جربه لم يجده كما سمع منه ، فكتب إليه في ذلك فرد عليه عمرو : انما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به[١٣٩].

وجاء ذكر عمرو بن معد يكرب مرة ثالثة مقرونا ببطل عربي آخر من الجاهلية هو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة الحارثي[١٤٠] الذي فقأ عين عامر بن الطفيل يوم « فيف الريح » ومقرونا ببطلين آخرين من أبطال الأساطير الفارسية هما اسفنديادْ ورستم ، وكان أولهما ابنا لكشتاسب ملك فارس أما الآخر فقد كان ملكا على زابلستان وهو من نسل الضحاك الذي كان ملكا علىٰ فارس في الفترات الأسطورية القديمة ، وقد تمكن رستم من قتل اسفنديادْ بعد معركة بينهما[١٤١]، وكان أبو تمام ذكر هؤلاء من خلال حديثه عن معركتين مظفرتين لممدوحه القائد محمد بن سعيد الثغري :

هما طرفا الدهر الذي كان عهدنا ... بأوله غفلا فقد صار مُعْلَما
لقد أذكرانا بأس عمرو ومسهر ... وما كان من اسفنديادْ ورستما[١٤٢]

أما زيد الخيل[١٤٣] فارس طيء في جاهليتها وإسلامها فهو من قبيلة أبي تمام وكان أبو تمام كثير الذكر له ، شديد الفخار به ، فاذا رَثىٰ القائد قحطبة بن حميد الطائي ، رجع إلى بطل سابق من طيء هو زيد الخيل ، فربط بين مصرع الرجلين :

اليوم أدرج «زيد الخيل» في كفن ... وانحلّ معقود دمع الأعين الهتن[١٤٤]

وحين فخر بشجاعة قومه طيء ، حين مغادرته مصر مخيَّبَ الرجاء كان اسم زيد الخيل على لسانه رمزا لهذه الشجاعة :

كماة إذا ظل الكماة بمعترك ... وأرماحهم حمرٌ وألوانهم صفر
رأيت لهم بشرا على أوجه لهم ... أبىٰ بأسهم ألا يكون لها بشر
بخيل لزيد الخيل فيها فوارس ... اذا نطقوا في مشهد خرس الدهر[١٤٥]

---

(١٤٠) انظر جمهرة أنساب العرب ٤١٦ .
(١٤١) انظر الشاهنامة ص ٩٥ حتى ١٠٤ ـ ورد اسم « اسفنديادْ » في روايات الديوان وشروحه ، ولكنه ورد بصيغة (اسفنديار) في المراجع الفارسية .
(١٤٢) الديوان : ٥٤٦ .
(١٤٣) انظر جمهرة أنساب العرب ٤٠٣ والطبقات الكبرى ١/٢٢١ والاصابة ١/٥٥٥ الترجمة رقم ٢٩٤٢
(١٤٤) الديوان : ٧٠١ .
(١٤٥) الديوان : ٩٥٣ .

وحين هجا عتبة بن أبي عاصم الذي تطاول عليه وتهكّم على جرأته المصطنعة التي فاقت جرأة زيد الخيل نفسه :

فـأشـهـد مـا جسرت عـليّ الا وزيـد الخيـل عبـدك في الشجـاعـة[١٤٦]

إن إشارات أبي تمام إلى بعض الشخصيات كانت تقترن في كثير من الأحيان بتكثيف لمواقف كانت لهم أو سجايا كانوا يتصفون بها ، ومعظم الإشارات إلى الشخصيات التاريخية كانت تحمل معها هذا التكثيف ، نجد ذلك في إشاراته إلى عامر بن الطفيل وابن عمه علقمه بن علاثة في منافرتهما المشهورة التي أبىٰ كبار وجوه العرب أن يقبلوا التحكيم فيها ، والتي تجرأ الأعشى على الحكم فيها لعامر ، على الرغم من امتلاك علقمة لمناقب من التقى لم تكن متوفرة لدى عامر ، ولكنه قدم عامرا لشجاعته[١٤٧]، يذكر ذلك أبو تمام في مدحه لشجاعة ممدوحه أبي سعيد الثغري ، وأنها هي مناط التقديم له :

وأراك في أرض الأعـادي غـازيـا مـا تستفيـق يبـوسـة وجـفـوفـا
ان كـان بالـورع ابتنى القوم العـلى أو بـالتقى صـار الشريف شريفـا
فَعَـلَام قُـدمَ ، وَهُـوَ زانٍ ، عـامـر وأمـيط عـلقـمـة وكـان شريـفـا[١٤٨]

يجمع أبو تمام في بعض أماديحه عددا من سراة الناس يُعَدّد أسماءهم التي تنبىء بسجايا معروفة فيهم ، مثل الأحنف بن قيس والمهلب بن أبي صفرة ومالك بن مسمع ، فعل ذلك في مدحه لحفص بن عمر الأزدي ممثلا له بهؤلاء الوجوه :

وكنت هنـاك الاحنف الطِبّ في بني تمـيم جمـيعـا ، والمـهـلب في الأزد
وكنت أبـا غسـان مـالـك وائـل عشيـة دانىٰ حلفـه الحلف بـالعقـد[١٤٩]

كما يشير في مَوطن آخر إلى شخصين مُتَباعَدين زمنا هما خالد بن الوليد في شجاعته ، وهرثمة بن أعينَ في فضله ، وذلك خلال مدحه لأبي سعيد الثغري :

---

(١٤٦) الديوان : ٨٣٨ .

(١٤٧) انظر الاصابة ٢/٤٩٦ وانظر خزانة الأدب ١/٨٨ .

(١٤٨) الديوان ٣٧٩ .

(١٤٩) الديون ٢٤٣ ـ والأحنف بن قيس هو سيد تميم في عهد بني أمية وبه يضرب المثل في الحلم (وانظر وفيات الأعيان ٢/٣٠٥) والمهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي ، أحد كبار الولاة الشجعان والأجواد أيام بني أمية (وأنظر الاصابة ٣/٥٠٩ ووفيات الأعيان ٥/٣٥٠) أما مالك وائل فهو مالك بن مسمع سيد ربيعة في البصرة في زمانه (وانظر جمهرة أنساب العرب ٣٠٢ والإصابة ٣/٤٦٢ والحلف المشار إليه حلف بين ربيعة والأزد قام به وائل ـ وانظر شرح التبريزي لديوان أبي تمام ٢/١٢٣ .

أحيَيْتَ للاسلام نجدة خالد وفسحت فيه لمتهم ولمنجد
لو أن هرثمةَ بن أعينَ في الورى حيٌّ وعاين فضله لم يجحد[١٥٠]

٣ ـ الأجـــــــواد :

في العرب أجواد كثيرون ، ولكن الذين ضرب بهم المثل في الجودة ثلاثة هم حاتم الطائي وكعب بن مامة الإيادي وهرم بن سنان المرى ، وقد قيل في الأمثال : أجود من حاتم وأجود من كعب بن مامة وأجود من هرم[١٥١] ، وكان لهؤلاء الأجواد ذكر في شعر أبي تمام فنراه حين يغادر مصر وقد مِني فيها بالإحباط يتحدث عن نفسه وعن خيبته ويحاول أن يخفف من وقع من ذلك عليه ، فيكثر من الفخر بنفسه وبقومه طيء ويخص بالذكر منهم حاتما فيقول عن كرمه :

جرى حاتم في حلبة منه لو جرى بها القطر شأواً قيل أيهما القطر[١٥٢]

وفي مدحه لأبي سعيد الثغري وهو طائي أيضا ، يربط بين كرم ممدوحه وكرم سلفه حاتم الطائي ، ويجعل ممدوحه خليفة لحاتم في الجود :

أساءت يداه عشرة المال بالندى وأحسنتا فينا خلافة حاتم[١٥٣]

كما يشير أبو تمام إلى جود هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى ، والإشارة إلى هرم تستدعي دائما الإشارة إلى زهير لاقتران ذكرهما في أذهان الناس ، وكان أبو تمام حين يرغب في مزيد من التأثير في نفس ممدوحه ، يقيم شبها في علاقته بهذا الممدوح ، مع علاقة زهير بهرم ، من ذلك قوله في عتاب محمد بن سعيد :

لم تُسقَ بعد الهوى ماء على ظمأ كماء قافية يسقيكها فَهِم
مالي ومالك شبه حين أنشده الا زهير وقد أصغى له هرم[١٥٤]

وفي مدحه لإسحق بن ابراهيم المصعبي يشير أبو تمام إلى مواهب ممدوحه في الكرم وقد فاقت مواهب هرم بن سنان نفسه :

---

(١٥٠) الديوان : ٢٥٦ وهرثمة بن أعين أمير من القادة والولاة الشجعان ـ انظر تاريخ الأمم والملوك ٨/٥٤٣ .
(١٥١) انظر مجمع الأمثال ١/١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٨ .
(١٥٢) الديوان ٩٥٢
(١٥٣) الديوان ٥٣٤ .
(١٥٤) الديوان : ٩٠٦ .

مـواهب لـو تـولّىٰ عَـدَّهـا هـرم لم يُحْصِهـا هـرم حتى يُـرى هـرمـا[١٥٥]

أما كعب بن مامة الإيادي فقد أورد أبو تمام ذكرا له في موضوعين جاءا في معرض التهكم على بخل الآخرين من خلال المقارنة بالتضاد . وكان أحد الموضعين في هجاء محمد بن يزيد الأموي :

بخٍ بخٍ لم يُـدانِ جـودَكُ يـا أز هـركـعبٌ ولا مـبـارى الـريـاح[١٥٦]

أما الموضع الآخر فقد كان في هجاء عبد الله بن يزيد المباركي :

يـا (كعبُ) بـذلا للعـطايـا ويـا أصفق وجهـا من « أبي شـاس »[١٥٧]

وأبو شاس شاعر كان يسرق شعر أبي تمام[١٥٨].

وفي اشارة أخرى جمع أبو تمام بين كعب وهرم وذلك حين مدح السليل بن المسيب الكلابي ، وعده ممن يفوقون هذين بالكرم :

ما جادَ جودَك ، إذْ تعطي بـلا عدة ما يُرتْجىٰ منك ، لا كعب ولا هرم[١٥٩]

٤ ـ الشـــعراء :

إشارات أبي تمام إلى الشعراء كثيرة جدا في شعره ، وتأخذ هذه الاشارات صورا متعددة وتبدو في معارض متفاوتة من أساليب العرض ونستطيع أن نحدد منها الأشكال التالية :

أ ـ إشاراته إلى قصيدة معينة لشاعر معين يذكر فيها اسم الشاعر ، مع ذكر لجزء من مطلع القصيدة الأمر الذي يوحي بالقصيدة وبالمناسبة التي قيلت فيها ؛ من ذلك إشارته إلى امرىء القيس وإلى قصيدته التي مطلعها :

خـلـيـلـيَّ مُـرّابي عـلى أم جنـدب لنقضي لـبـانـات الفـؤاد المعـذب

وهي القصيدة التي نافر بها امرؤ القيس علقمة الفحل في القصة المشهورة[١٦٠] وقد اشار إليها أبو تمام في قوله :

---

(١٥٥) الديوان ٥٠٠ .
(١٥٦) الديوان : ٨٠٨ .
(١٥٧) الديوان : ٨٣٢ .
(١٥٨) انظر شرح التبريزى للديوان : ٤/٣٧٩ .
(١٥٩) الديوان : ٥٨١ .
(١٦٠) أنظر الأغاني ٢١/٢٠٢ وخزانة الأدب ١/٥٦٥ .

من المعطيَات الحسنَ والمؤتَياته مجلببة أو فاضلا لم تَجَلْبَبِ
لو ان امرأ القيس بن حجر بدَتْ له لما قال «مرابي على أم جندب»[١٦١]

ومن ذلك أيضا اشارته إلى معلقة طرفة بن العبد في إيراده جملة « أطلالا ببرقة ثهمد » في قوله مادحا أبا سعيد الثغري :

درست صفائح كيدهم فكأنما أذكرْنَ «أطلالا ببرقة ثهمد»[١٦٢]

وقد يكتفي في إشاراته إلى بعض القصائد أو المقطوعات أو الأبيات بذكر خصوصية لها موحية تجعل الذهن ينصرف مباشرة إلى معرفتها ، من ذلك قوله في مدح المعتصم ومنددا بجحود الأفشين الذي تغير على سيده بعد أن كان شديد القرب منه :

قد كان بوأه الخليفة جانبا من قلبه حرما على الأقدار
ورأى به ما لم يكن يوما رأى «عمرو بن شاس» قبله : بعرار
فاذا ابن كافرة يُسِرّ بكفره وجدا كوجد «فرزدق» « بنوار »
واذا تذكره بكاه كما بكى «كعب» زمان رثى «أبا المغوار»[١٦٣]

ففي هذه الأبيات حشد لأسماء عدد من الشعراء ربط أبو تمام اسم كل واحد منهم بقرين من الأشخاص ارتبط به وذكره في شعره ، وورود اسم كل من هؤلاء مرتبطا بالشاعر يستدعي إلى الذهن حضور القصيدة التي قيلت فيه والمناسبة التي استدعت القصيدة ودون أن يكون فيها أية قرينة لفظية ، فعرار هو ابن عمرو بن شاس ، وكانت زوجته ـ غير أم عرار ـ تضطهده ، وأبياته في تأكيد حبه لعرار ، وفي نقمته على زوجته لكرهها إياه أبيات مشهورة ومنها قوله :

أرادت عرارا بالهوان ، ومن يردْ عراراً ـ لعمري ـ بالهوان ، فقد ظلم[١٦٤]

أما الفرزدق ، فقصته في طلاق زوجته نوار ثم ندمه على ذلك قصة معروفة وقد سجلها الفرزدق في مقطوعة مطلعها :

ندمت ندامة الكسعّي لما غدت مني مطلَّقة نوار[١٦٥]

---

(١٦١) الديوان : ٦٣ .
(١٦٢) الديوان ٢٥٧ .
(١٦٣) الديوان ٢٩٣ .
(١٦٤) أنظر طبقات الشعراء لابن سلام ص ٨٠ .
(١٦٥) ديوان الفرزدق ٢٩٤ .

وأما كعب ، فهو كعب بن سعد الغنوى الذي رثى أخاه أبا المغوار في قصيدة مشهورة مطلعها :

تقـول سليمى مـا لجسمـك شـاحبـا كـأنـك يحميـك الـطعـام طبيب[١٦٦]

وقد يورد أبو تمام إشارات قصصية إلى شعراء يذكر اسم الشاعر منهم ويربطه بلفظة وردت في شعره ، أو بمعنى ساقه في أحد أبياته ، من ذلك قول أبي تمام :

ظعنوا ، فكان بكاى حولا بعـدهم ثـم ارعـويت وذاك حـكم لـبيـد[١٦٧]

ففي هذا البيت يستدعى أبو تمام إلى الذاكرة وصية لبيد إلى ابنته :

تمـنى ابنتـايَ أن يعـيش أبـوهمـا وهـل أنـا إلا من ربيعـةَ أو مضر
فـإن حـان يـومـا أن يمـوت أبـوكـما فـلا تخمشـا وجهـا ولا تحلقـا شعـر
إلى الحـول ثم اسم السلام عليكـما ومن يبْـكِ حولا كـاملا فقـد اعتذر[١٦٨]

وحين يصف أبو تمام ناقته فيقول :

لـو كـان كلّفهـا عبيـد حـاجـة يـومـا لأنسي شـدقـما وجـديـلا[١٦٩]

فهو يشير إلى الراعي النميري الملقب براعي الابل لأنه كان يحسن وصفها ، وفي بيت أبي تمام اشارة إلى أبيات للراعي من ملحمته ، وفيها يخاطب ابنته خليدة ، ويصف مطاياه ويشبهها بفحلين من الابل المشهورة هما شدقم وجديل :

أخليـد ، ان أباك ضـاق ، وَسَـادَهُ همّـان ، بـاتـا جنبـة ودخيـلا
طـرقـا فتلك همـا همي ، أقْـريهـما قلصـا لـواقـح كـالقسيّ وحُـولا
شمّ الحـوارك ، جُنّحـا أعضـادهـا صهبـا ، تناسب شـدقـما وجـديـلا[١٧٠]

أما الشاعر عديّ بن الرقاع والعجاجة التي أشار إليه وإليها أبو تمام حين قال مادحا :

فتى النكبـات مـن يـأوي اذا مـا قـطفـن بـه إلى خـلق وسـاع
يـثـير عـجـاجـة في كـل ثـغـر يهـيم بـه عـديّ بـن الـرقـاع[١٧١]

---

(١٦٦) أنظر آمالي القالي ٢/١٤٧ و ١٤٨ .
(١٦٧) الديوان ١٦٥ .
(١٦٨) الأغاني ١٥/٢٧٩ .
(١٦٩) الديوان ٤٤٨ .
(١٧٠) جمهرة أشعار العرب ٣/ ٩٣٠ ـ وجديل وشدقم فحلان أصيلان كانا للنعمان بن المنذر وإلى شدقم تنسب الشدقميات من الإبل .
(١٧١) الديوان ٣٥٣ ودابة قطوف : ضيقة الخطا ويريد : اذا ضاقت به الأمور .

فانه يتحدث عن العجاجة التي ذكرها عدي في وصفه للحمارْين اللذين اثاراها بسنابكهما وهما يتعاوران الركض :

يتعاوران من الغبار ملاءة ... غبراء محكمة هما نسجاها
تُطْوىٰ إذا عَلَوا مكانا ناشزا ... وإذا السنابكَ أسهَلَتْ نشراها[١٧٢]

وجاء في قطعة غزالية لأبي تمام قوله :

أما الذي في جسمه فسل التي ... هجرته وهو مواصل لم يهجر
صفراء صفرة صحةٍ قد رَكَبَت ... جثمانه في ثوب سقم أصفر
قتلته سرا ثم قالت جهرة ... قول الفرزدق «لابظْبي أعفر»[١٧٣]

وحديث أبي تمام في هذه الأبيات عن الفرزدق ، وعن قوله « لا بظبي أعفر » يقصد به قول الفرزدق في هجاء مسكين الدارمي وفي الشماتة بموت زياد بن أبيه الذي كان مسكين قد مدحه :

أقول له لما أتاني نعيه ... به «لا بظبي في الصريمة أعفرا»[١٧٤]

وهذه الجملة « لا بظبي أعفر » ترد في مورد الأمثال ، وتضرب عادة في حالة الشماتة[١٧٥] .

ب ـ إشارته إلى مواقف معروفة لبعض الشعراء أو قصص مشهورة عنهم ، من ذلك إشارته إلى حزن متمم بن نويرة على أخيه مالك ، وحزن لبيد بن ربيعة العامري على أخيه أربد ، ثم سلوُّ كل منهما عن مصابه رغم شدة ما ألم به من حزن ، وهذه الاشارة ترد في قول أبي تمام حين رثىٰ حجوة بن محمد الأزدي وفي تعزية ذويه :

طامن حشاك أبا الحباب فإنها ... نُوَبٌ تروح على الأنام وتغتدي
فلقد أفاق (متمم) عن «مالك» ... وسلا «لبيد» قبله عن «أربد»[١٧٦]

كما يشير إلى قصة عبيد بن الأبرص الذي ورد على النعمان في يوم بؤسه فقتله[١٧٧] وذلك في قوله متحدثا عن تفويت ممدوحه شماتة أعدائه به :

لما أظلتني غمامك أصبحت ... تلك الشهود عليّ وهي شهودي

---

(١٧٢) معجم الشعراء ٨٧ .
(١٧٣) الديوان ٨٧٩ .
(١٧٤) ديوان الفرزدق ١/٢٠١ .
(١٧٥) انظر مجمع الأمثال ٩/٩٠ والمستقصى من امثال العرب ١/٤٣٧ .
(١٧٦) الديوان ٦٥٨ .
(١٧٧) انظر الشعر والشعراء : ١٦٢ .

من بعد أن ظنّوا بأن سيكون لي يومٌ ببغيهم كيوم عبيد[178]

أما نصيب الذي كان أسود اللون ، وكان له بنات لم يتزوجن ولما سأله عمر بن عبد العزيز عن حاجته ، شكا له وضع بناته فقال : « بنيات لي نفضت عليهن سوادي فكسدن أرغب بهن عن السودان ، ويرغب عنهن البيضان[179] » ، أما نصيب هذا ، فقد استغل أبو تمام قصته مع بناته ووظفها في حديثه عن قصائده التي ستكسد اذا لم يتداركها ممدوحه محمد بن عبد الملك الهاشمي بالقبول :

ولو عضلْتُ عن الأكفاء أيِّمها ولم يكن لك في أطهارها أرب
كانت بناتِ نُصَيْبٍ حين ضنّ بها عن الموالي، ولم تحفل به العرب[180]

ج ـ أبيات يكتفي فيها بذكر أسماء بعض الشعراء ، في إشارات دلالية ، فقد يورد في بعض الأحيان أسماء مجموعة من الشعراء في بيت واحد ، وذلك في مثل قوله :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئي بذاك شهيدا
أذكرتنا الملك المضلّل في الهوى والأعشَيَيْنِ وطرفة ولبيدا[181]

وقد يورد اسم شاعرين وحسب ، وذلك في مثل قوله معظّما من شأن شاعريته ، وحاطّاً من شأن غريمه :

بُدّلْت بعد تأنّس بتوحش وأعرت سمعك من يبلغ أويشي
وزعمت أنّي ذاهل فمن الذي يُدْعىٰ خليفة عروةٍ ومرقّش[182]

ومثل قوله أيضا في إطراء شعره :

خذها فما نالها بنقص موت جرير ولا البعيث[183]

وكذلك قوله في ذكر مناقب أحمد بن أبي دُؤاد الإيادي الذي أكرمه ، ولم يكن من بني قومه :

إن يعجب الأقوام أنّي عندكم من دون ذي رحم بها متوصّل

---

(١٧٨) الديوان ١٦٧ .
(١٧٩) أنظر الأغاني : ٣٤٧/١ .
(١٨٠) الديوان ١٠٢ .
(١٨١) الديوان ١٧٦ والأعشيان ، هما اعشى قيس وأعشى باهله .
(١٨٢) الديوان ٨٣٤ وعروة هو : عروة بن حزام الشاعر العذري أما المرقش فهو المرقش الأكبر ويدعى عوف بن سعد بن مالك .
(١٨٣) الديوان ١٣٨ (والبعيث هو البعيث المجاشعي معاصر جرير والفرزدق) .

فبنـو أميّـة ، الفـرزدقُ صنـوهُم نسبـاً وكـان ودادهم في الأخـطل[١٨٤]

وقد يكتفي بالاشارة إلى شاعر واحد ، في مناسبة تستدعي ذلك ، وذلك في مثل قوله هاجياً أحد أدعياء الشعر :

فـلو نُبش المـقـابـر عـن زهـير لصرَّح بـالـعـويـل وبـالنحيب
مشى كـانـت قـوافيـه عـيـالا عـلى تـفسـير بـقـراط الـطبيب[١٨٥]

وكذلك الأمر حين يتغزل بمحبوب ويشير إلى أن فتنته لو تجّلت لعيني المرقّش لصدته عن التعلق بمحبوبته اسماء :

فـأقسم لـو تبـدو لعـيني مـرقّش لأذهلْتَ عن أسـماء حقـا مـرقّشـا[١٨٦]

وحين يمدح مالك بن طوق التغلبي ويصف طيب أراضيه وخصبها ، يؤكد أن خصب هذه الأراضي يُغري كل من لا علاقة له بالزراعة أن يتعلق بها ، حتى لو كان الحطيئة المفرط في بداوته :

بلد الفـلاحـة لـو أتـاهـا جـرول أعني الحـطيئـة لاغتـدى حـرّاثـا[١٨٧]

وأبو تمام من الشعراء الذين يكثرون الحديث عن إجادتهم الشعر وإتقانهم له ، كما رأينا في إشارة سابقة له ، وكما نجد في كثير من قصائده وفي إحدى قصائده يشبه نفسه بجرير الذي عقد له لواء السبق بين شعراء بني أمية :

وبـقـيـتَ ، لـولا أنـني مـن طـيء علم ، لقـال الـنـاس أنت جـريـر[١٨٨]

وهناك إشارة إلى ذى الرمة وصاحبته ميّة حين حديث أبي تمام عن خراب عمورية :

مـا ربـع ميّـة معمـوراً يـطيف بـه غيلان أبهى رُبىً من ربعها الخـرب[١٨٩]

وكل هذه النماذج التي سقناها تقدم براهين على اتساع ثقافة أبي تمام الشعرية . وعلى معرفته بالشعراء واتجاهاتهم وأحوالهم ولا غرابة في ذلك لأن ثقافة أبي تمام الشعرية هي الركن الأساسي في ثقافته العامة ، وهي على ما هي عليه من العمق والامتداد .

---

(١٨٤) الديوان ٤٣٨ .

(١٨٥) الديوان ٧٩٥ ـ وبقراط هو أحد كبار أطباء اليونان وإليه يُعْزىٰ قسم أبو قيراط الذي يطلب أداؤه من كل طبيب قبل ممارسته مهنة الطب (وانظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٥) .

(١٨٦) الديوان ٧٥١ والمرقش هو المرقش الأكبر من عشاق العرب المشهورين وصاحبته اسماء بنت عوف بن مالك (وانظر الشعر والشعراء ١١٩) .

(١٨٧) الديوان ١٣٤ .

(١٨٨) الديوان ٨٢٠ .

(١٨٩) الديوان ٢٧ وغيلان بن عقبة هو ذو الرمة ومية بنت طلبة المنقرية هي محبوبته .

٥ ـ أشخاص عرفوا بصفات خاصة أو ضربت بهم الأمثال :

وهؤلاء كثيرون ، نذكر منهم من أصحاب البلاغة سحبان وائل وقيس بن ساعدة الإيادي من الجاهليين ، وخالد بن صفوان المنقري من الإسلاميين ويقابل هؤلاء أصحاب الفهاهة والعي ، ومنهم باقل الإيادي وقد ورد ذكر لكل هؤلاء في شعر أبي تمام فهو حين يمدح أحمد بن أبي دواد يشبهه بقس في الفصاحة ، بل يجعله يربو عليه في ذلك :

وأجـلّ مـن قسّ اذا استنـطقتَـه رأيـاً وألـطف في الأمـور وأجـزل[١٩٠]

وحين يتصدى لمدح مجموعة من الكبراء يفرط في إطراء مكارمهم ويذكر انها تعجز الفصحاء عن الإحاطة بها كما أنها تُنطق ذوى العيّ حين يودّون الحديث عنها ، ومثّل لأصحاب الفصاحة بسحبان وائل ولأصحاب العي والفهاهة بباقل فقال :

جـازوا خـلائق قـد تيقنت العـلى كـلّ التّيـقّـن أنهنّ نـجـومـهـا
ولـو ان بـاقـلاً المفهّـه ينـبري في مـدحـهـا سهلت عليـه حـزومها
ولـو ان سحبـانَ المـفـوَّهَ ينـتمي في ذمّهـا لم يـدر كيـف يـذيمهـا[١٩١]

وحين يُطرى شاعرية صديقه الشاعر على بن الجهم يربط بين بلاغته وبلاغة خالد صفوان :

أو قـدّمَتْـكَ السّـنُّ خلْتُ بـأنـه من لفـظك اشْتُقّت بـلاغـةُ خـالـد[١٩٢]

أما في حديثه عن ممدوحه الحسن بن وهب فانه يشبهه بقس بن ساعدة وبمجموعة من رجال الشعر والأدب :

فكـأن « قسّـا » في عكـاظ يخـطب وكـأن لـيـلى الأخيـليّـة تـنـدب
«وكثـير عـزة» يـوم بـين ينسب وابن المقفّـع في اليـتيـمـة يسـهب[١٩٣]

ومن أصحاب الفصاحة الذين أشار إليهم أبو تمام في شعره « العِضان » وهما زيد بن الكيس النمري ودغفل الذهلي الشيباني وكانا عالِـمَيْ العرب بالانْساب وقد قيل عنهما في الأمثال « أفصح من العضين »[١٩٤] وقد ورد ذكرهما مع ذكر للأحنف بن قيس سيد تميم الذي ضرب به المثل في الحلم ومع حاتم الطائي وذلك في مدح أبي تمام لمالك بن طوق :

---

(١٩٠) الديوان ٤٣٦
(١٩١) الديوان ٥٧١ .
(١٩٢) الديوان ١٧٣ .
(١٩٣) الديوان ٥٧ .
(١٩٤) انظر مجمع الأمثال ١/١٩ و ٢/٩٠ والمستقصى من أمثال العرب ١/٢٧٣ .

أصبحت حـاتمَهَا جـودا وأحنفَها حـلما وكيِّسَـهـا عـلما ودغـفـلَهـا[١٩٥]

كما جاء أبو تمام بإشارة أخرى حول حلم الأحنف بن قيس في قوله واصفا السفينة التي أقلته إلى ممدوحه محمد بن عبد الملك الزيات :

أَمَّتْـكَ والشّيـطان يـرهب ظلّهـا فـأتتـك وهي تفـوق حلم الأحنف[١٩٦]

أما في الذكاء فقد أشار أبو تمام إلى القاضي إياس بن معاوية ، وهو من تحدثت الأمثال عن ذكائه فقيل « أزكن من إياس » وذلك في قوله مادحا أحمد بن المعتصم :

إقـدام عمـروٍ في سـماحـة حـاتم في حـلم أحنـف في ذكـاء إيـاس[١٩٨]

كما أشار إلى ذكاء الخليل بن أحمد الفراهيدي في هجائه لعياش بن لهيعة معرضا بغبائه :

فـلو تشر الخـليـل لـه لـعـفـت رزايـاه عـلى فـطن الخـليـل[١٩٩]

وهناك إشارات إلى أناس كثيرين من ذوي الصفات أو المواقف ؛ فمن ذوى المواقف أورد ذكرا لمسيلمة الكذّاب ، ذلك حين نعى على نفسه أنه مدح أناسا لا يستحقون المدح ، واستحق بذلك أن يلقب بالكذّاب دون مسيلمة الذي نبذ بذلك اللقب :

نبـذوا بكـذّابٍ مـسيـلمـةً فقـد وَهِمـوا وجاروا ، بـل أنـا الكـذّاب[٢٠٠]

وحين نجح جيش للمعتصم في دحر بابك الخرّمي ، فاضطر إلى الفرار ، شبه أبو تمام إصراره على الفرار بعزم أبي سمال الأسدي المشهور بقسمه حين أضاع ناقة له ، فقال : « لئن لم يردها الله علي لا صليت له أبدا ، فلما وجدها قال : علم الله أن يميني كانت برّة »[٢٠١] .

وجاء بالاشارة التي تربط بين العزمين عزم بابك وعزم أبي سمّال في قوله مادحا للمعتصم ومعرّضا ببابك :

---

(١٩٥) الديوان ٤٣٥ .

(١٩٦) الديوان ٣٨٦ .

(١٩٧) المستقصى ١٤٨/١ .

(١٩٨) الديوان ٣١٤ .

(١٩٩) الديوان ٨٥٥ .

(٢٠٠) الديوان ٧٩٣ .

(٢٠١) انظر العقد الفريد ٥٣/٥ والقاموس المحيط مادة (صري) .

لما رآهم بابَكٌ دون المنى هجر الغواية بعد طول وصال
تَخذَ الفرار أخاً وأيقن أنه صِرّيُّ عزمٍ من أبي سمّال[٢٠٢]

أما من ذوي الصفات فقد أشار إلى عمرو الزاهد حين عرّض بشخصين تقدما عنه عند ممدوحه محمد بن يوسف ، فوصفهما بالضلال ووصف نفسه بالخير ، وشبه نفسه بعمرو الزاهد :

شخصان أفا كان، قيلُهما الخنا حلاّ لديك محلّ عمرو الزّاهد[٢٠٣]

ومن الزهاد أيضا يشير إلى « أُوَيْس » القرني[٢٠٤] وهو من أجل الزاهدين وقد أتى بذكره حين تحدث عن خلعة وهبه إياها الحسن ، وكانت مدعاة للتيه بها لجمالها ، فأشار إلى أن أويسا ، وهو من هو في الزهد ، لو لبسها لترك زهده ولبدا عليه الكبر وهو يرتديها :

لو انها جُلّلت أويسا لقد أسرعت الكبرياء في ورعه[٢٠٥]

أما البّراض الذي عرف بفتكه بعروة الرحّال الذي أثار مقتله حرب الفجار والذي ضرب المثل بفتكته فقيل : « أفتك من البّراض »[٢٠٦]، فقد أشار إليه أبو تمام وهو يمدح أحمد بن أبي دؤاد :

كل يوم له بصرف الليالي فتكة مثل فتكة البّراض[٢٠٧]

أما في قوله مادحا نوحا بن عمر :

أدل بالقفر وأهدى له من السدُ عَيْميص ومن رافع

فانه يشير إلى هدايته وإلى معرفته بالصحراء معرفة تفوق خبرة أشهر دليلين عرفهما العرب هما الدعيميص ورافع بن عميرة[٢٠٨].

---

(٢٠٢) الديوان ٤٧٧ .

(٢٠٣) الديوان ٢٦٥ ، وعمرو الزاهد لعله عمرو بن قيس الملائي ، وفيه كل صفات الزهد والصلاح ، وكان معاصراً لسفيان الثوري ، وانظر حلية الأولياء ٥/١٠٠ .

(٢٠٤) أويس بن عامر القرني ، يمني ، من سادات التابعين والزهاد (وانظر لسان الميزان) ١/٥٢٧ .

(٢٠٥) الديون ٣٦٠ .

(٢٠٦) انظر مجمع الأمثال ٢/٨٧ .

(٢٠٧) الديوان ٣٤٢ .

(٢٠٨) الديوان ٣٦٥ والدعيميص الملقب بدعيميص الرمل هو عبد أسود داهية من الأدلاّء ، وما كان يدخل بادية وبار غيره (وانظر القاموس المحيط مادة دعص) ـ أما رافع فهو رافع بن عميرة بن جابر دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على السماوة و (انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٢) .

٦ ـ قبـــائـــــل وأنســـــاب :

واطلاع أبي تمام على أحداث التاريخ ، وعلى الشخصيات الهامة فيه يصاحبه اطلاع على الأنساب ومعرفة بالقبائل ، وهي أمور مكملة لثقافته العامة ، ومعرفة أبي تمام بالانساب تتجلي بوضوح في شعره ، فهو لا يكتفي بذكر أسماء القبائل ذكرا عابرا وحسب ، بل نجده حين يتحدث عن أحد ممدوحيه يعرّج إلى الحديث عن قبيلته ، ثم يستعرض اسم جد أو أكثر من أجداده ممن عرفوا بلون من ألوان المكارم أو ممن تداولت الألسن أسماءهم عبر التاريخ ، الأمر الذي يؤكد أن معرفته بهذه القبائل لم تكن معرفة سطحية ، بل كانت معرفة الخبير بالأنساب المتأكد من معلوماته عنها ، والواثق بما يتحدث به منها .

وفي هذه الدراسة لن نقف أمام القبائل التي يرد ذكر لأسمائها في شعر أبي تمام ، ومواضعُ ذلك كثيرة ، ولكننا سنقف عند القبائل التي ربط أسماءها بأحداث معينة أو بصفات معينة أو التي عدد مجموعة من أسماء رجالاتها الأقدمين وعلى سبيل المثال : لقد كان أبو تمام يعرف أن قبيلة « كلب بن وبرة » لم تكن تحرم الأشهر الحرم في الجاهلية[٢٠٩]، فلذا نجده يوظف هذه المعرفة من خلال مدحه لمالك بن طوق التغلبي الذي طوّع خصومه ومعارضيه فأصبحت الدنيا مضبوطة به بعد ان كان الفساد يعيث في ربوعها ، وقد كان شأنها في ذلك شأن قبيلة « كلب » التي كانت تعيث فسادا في الأشهر الحرام :

كـان الزمـان بكم «كلبـا» فغـادركم بالسيف ، والدهر فيكم أشهر الحرم[٢١٠]

وليس ما ذكرناه هو المثل الوحيد ، فقد وجد في شعره أمثلة كثيرة لذلك ، ففي مدح أبي تمام لمالك بن طوق هذا ، في موضع آخر من شعره نراه يذكره بجدّه الأعلى عمرو بن كلثوم ، وبقومه بني عتاب ، وهم من وجوه تغلب وبنسبهم إلى جشم بن بكر ، ويجعل تغلب ببطونها المختلفة المنتمية إلى جشم دريئة لقبائل ربيعة ، تصد عنها المخاطر وتدفع عنها الأذى مذ خلقت ربيعة :

مـا مـنكُـم الا مُـرَدّى بـالحجـا أو مُـبْشرا بـالأحـوذيـة مـؤدمُ
عمرو بن كلثوم بن مـالك بن عتّـا ب بن سعـدٍ سهمـكم لا يـسهـم
خلقت ربيعة مذ لَدُنْ خُلقت ؛ يدا جشم بـن بكـر كـفُّهـا والمـعْصَم[٢١١]

وإشارة أبي تمام إلى « الحمس » وهو لقب لقريش عرف لها في الجاهلية ، يؤكد عمق معرفة أبي

---

(٢٠٩) انظر شرح التبريزى للديوان ٣/ ١٩٠ .
(٢١٠) الديوان ٥١١ .
(٢١١) الديوان ٥١٦ .

تمام بأنساب القبائل وألقابها ، وقد أشار إلى ذلك في قوله مادحا مالكا أيضا :

حلفْت بـالبيت ذى الملبين في الإسـ ـلام والحـل قـبـل والحـمس
أن ابـنَ طـوق بن مـالـك مـلِك مـالـكُ أمـر المكـارم الشـمس[٢١٢]

وحين يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة ، يكثر من تعداد قبائل عدنانية وأخرى قحطانية يوردها كلها في معرضٍ من التعبير عن مشاركة هذه القبائل له في إطراء مفاخر ممدوحه :

ولـو أني استـطعت لـقـام عـنّي بشكـرك مـن مشى فـوق الـتراب
إذاً شكـرَتْكَ مـذحِج حيث كـانت بَـنـو دَيَّـانها وبـنـو الـضبـاب
وجئتك من قضـاعـة قـد أطـافت بـركْـني عـامـر وبـني جـنـاب
ولاستـنجـدت حـنـظلة وعـمـرا ولم أعـدِلْ بـسـعـد والـربـاب
ولاستـوفـدت مـن قـيس ذراهـا بـني بـدر وصِيـدِ بـني كـلاب
ولاحـتَـفَـلَتْ ربـيعـة لي جمـيعـا بـأيـام كـأيـام الـكـلاب[٢١٣]

وفي هجاء أبي تمام لعيّاش بن لهيعة ، وهو يمني الأصْل يحرص على أن يركز الهجاء على شخصه دون قومه فينسبه إلى قومه اليمنين في صيغة معبرة عن الاحترام لهم ، ثم يهجوه متهما إياه بالبخل ناسباً كرمه إلى قبيلة سلول المنعوته بالهوان[٢١٤] :

كِـلا أبـويـك من « يمن » ولكن كـلا أبَـوَيْ نـوالـك مـن سلول[٢١٥]

وحين يمدح أبو تمام خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني يعدد من آبائه رجالاً لا تتأتى معرفتهم الا لمن ثَقِفَ سلسلة نسب بني شيبان :

مصـون المعالي لا « يـزيـد » أذالـه ولا «مَـزْيَدٌ» ولا «شريك» ولا «الصلب»
ولا «مُرَّتا ذُهْل» ولا «الحصن» غاله ولا كفَّ شأويه «عليٌ» ولا «صعب »

---

(٢١٢) الديوان ٣١٠ ـ وانظر عن الحبس القاموس المحيط مادة حمس .

(٢١٣) الديوان ١١٧ ، وقبيلة قضاعة المذكورة عدنانية (وانظر سبائك الذهب ١٢٥ـ ١٥٣ ـ ٢٠٣ ـ ٢٢٣ ـ ٢٦٥ ـ ٣٣٦) .

(٢١٤) سلول فخذ من قيس نسبوا إلى أمهم سلول (وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٧١ وقصة وفاة عامر بن الطفيل في بيت سلولية قصة مشهورة إذ نعىٰ نفسه مسجلا هوان وفاته وذلك بقوله : « غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية » وإليهم يشير السموأل بقوله :

وإنـا أنـاس لا نـرى القتـل سبـة اذا مـا رأتـه عـامـر وسلول

(٢١٥) الديوان ٨٥٦ .

وأشباه بكر المجد «بكر» بن «وائل» و «قاسط» عدنان وأنجبه «هنْب»
مضوا وهم أوتادُ نجد وأرضها يُرَوْنَ عظاما كلما عظم الخطب[٢١٦]

وقد فعل مثل ذلك في مدحةٍ أخرى لخالد بن يزيد نفسه فعدد مجموعة من أجداده ، هم وجوه من سلسلة رجال نسبه ، عرض ذلك في سياق حديثه عن مطيته التي انتجعت ربوع ممدوحه لتنال منه كل الخير :

بَكريَّها عَلَويَّها صعبيُّها الـ حصنيَّ شيبانيّها الصّنديدا
ذهليّها مُرِّيَّها مَطَريَّها يُمنىٰ يديْها خالدَ بن يزيدا[٢١٧]

وحين يتحدث أبو تمام عن نسبه في طيء ، وعن اعتزازه بهذا النسب ، فانه يكثر من ذكر ذوي الأمجاد من أجداده ، وهم كثيرون ، فيعدد نماذج منهم ، منهم عدى وعمرو وزيد وأدَد كما يذكر بطنين من بطون قبيلته هما الغوث وجديلة :

وهل خاب مَنْ جِذْماه في ضِنءٍ طيّءٍ عدىُّ العدِيّين القَلَمّس أو عمرو
لنا غرر زيديّة أدديّة إذا نجمت ذلّتْ لها الأنجم الزهر
لنا جوهرٌ خالط الأرض أصبحت وبطنانُها منه وظهرانها تبر
جديلة والغوثَ اللذين إليهما صغت أذنُ للمجد ليس بها وقر[٢١٨]

وفي موطن آخر من مواطن فخره بقبيلته طيء يعدّد أسماء رجال عرفوا بمفاخرهم التي يشهد لهم بها التاريخ :

أنا الذي استرضع الجود فيهم وسُميَ فيهم وهو كهل ويافع
سما بي «أوسٌ» في السماء و«حاتم» و«زيد القنا» و«الأثرمان» و«رافع»

---

(٢١٦) الديوان : ٧٧ ويلاحظ أن سلسلة نسب خالد تشتمل على كل هؤلاء الرجال . فهو خالد بن « يزيد » بن « مزيد » بن زائدة من عبد الله بن « مطر » بن « شريك » بن « الصلب » بن « شرحبيل » بن « مرة » بن « همام » بن « مرة » بن « ذهل » بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن « صعب » بن « علي » بن « بكر » بن « وائل » بن « قاسط » بن « هنب » بن « أفصى بن دعمي » بن « جديلة » بن ربيعة بن « نزار » وانظر جمهرة أنساب العرب ٣٠٣ ـ ٣٢١ .

(٢١٧) الديوان ١٧٧ .

(٢١٨) الديوان ٩٥١ ونسب أبي تمام ينتهي إلى عدى بن عمرو بن الحارث بين طيء بن أدد بن يزيد ـ وأنظر جمهرة أنساب ٣٢٩ وسبائك الذهب ٣٣٨ .

وكـان «إياس» مـا إياسٌ و«عـارق» و«حارثة» أوفى الورى و«الأصامـع»[٢١٩]

مـــع الأمثـــــال :

تقدم الأمثال ذخيرة من المعرفة مكثفة وذات دلالات وإيحاءات ، فالمثل عادة يضع مواطن الاستشهاد به في جو القصة المناسبة التي ضرب المثل عَبْرها ، ويحيطه بكل ما أحاط بها من ظلال وألوان وقيم ، وامتلاك الأديب أو الشاعر لذخائر من الأمثال لا بد أن يجد له انعكاسات في أدبه أو في شعره تتجلي في صور وأشكال مختلفة .

ولقد كانت حصيلة أبي تمام من الأمثال العربية غنية ومتنوعة ، وكان أسلوبه في استخدامها متنوعا ، فقد يورد المثل كاملا في بعض الأحيان كقوله مستعيناً بالمثل القائل « ويل الشجي من الخليّ »[٢٢٠] :

أيـا «ويـل الـشجي من الخـلي» وبـالي الـربـع من إحـدى بـليٍّ[٢٢١]

ومثله قوله مستعينا بالمثل القائل « اتسع الخرق على الراقع »[٢٢٢] وذلك في هجائه لأحد الأشخاص :

يـا عمـرو قـل للقمـر الـطالـع «اتسـع الخـرق عـلى الـراقـع»[٢٢٣]

وقد يذكر المثل مشيرا إلى صاحبه الذي جرى المثل على لسانه ، فالمثل القائل « به ، لا بظبيٍ أعفر »[٢٢٤] وهو مثل يضرب في حال الشماتة ، قاله الفرزدق حين نُعِيَ إليه زياد بن أبيه ، وكانَ لا يحبه :

---

(٢١٩) الديوان ٩٥٨ وأوس أحد أجداد طيّء ومنه بطن كبيرهم بنو أوس بن حارثة (انظر الأغاني ١٠/٢٩٦ وحاتم الطائي معروف وزيد القنا لعله زيد الخيل الفارس المشهور وهو من نبْهان من طيء ـ انظر الجمهرة ٤٠٣ ورافع بن عميرة هو دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على السماوة ـ الجمهرة ٤٠٢ واياس بن قبيصة الطائي من أشراف طيء في الجاهلية ، وشجعانها ولّاه كسرىٰ الحيرة وساعد كسرى في الانتصار على الفرس ـ الجمهرة ٤٠٠ .

(٢٢٠) مجمع الأمثال ٢/٣٦٧ وأول من قاله أكثم بن صيفي التميمي حين نصح قومه باتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له مالك بن نويرة : لقد خرف الشيخ فأرسل المثل .

(٢٢١) الديوان ٦٢٦ وبنو بليّ حيّ من قضاعة ، وإحدى بلي بنت من بنات هذا الحيّ .

(٢٢٢) المستقصىٰ من أمثال العرب ١/٣٥ .

(٢٢٣) الديوان ٨٣٧ .

(٢٢٤) مجمع الأمثال ١/٩٠ .

أقـول لـه لمـا أتـاني نَـعْـيُـة بـه، لا بـظبيٍ في الصريمـةِ أعفـر[٢٢٥]

وقد استخدمه أبو تمام في سياق أبيات من الغزل :

صفـراء صفـرة صحّـةٍ قـد ركَّبَتْ جـثـمانـه في ثـوب سقـم أصفـر
قـتـلتـهُ سرا ثـم قـالـت جَـهْـرة قـولَ الفـرزدق «لا بـظبي أعفـر»[٢٢٦]

ويكتفي أبو تمام بالاشارة إلى المثل في بعض الأحيان بذكر بعض ألفاظه الموحية بالمثل كله ، من ذلك إشارته إلى المثل القائل « لليدين وللفم »[٢٢٧] ويضرب عند الشماتة بسقوط إنسان ، فقد أورد بعضه وحرّف بعضه ، ولكن ما جاء به في الحالتين كان موحياً بالمثل كله ، وقد أورد ذلك في قوله من قصيدة في مدح اسحق بن ابراهيم :

أخٌ تـركـت أسـنَـتُـه أخـاه تـليـلاً «لـلجـبـين ولـلـيـديـن»[٢٢٨]

ومثله إشارته إلى المثل القائل « كالمستغيث من الرمضاء بالنار »[٢٢٩] وهو نفسه الوارد في قول الشاعر :

المستجـير بعمـرو عنـد كـربتـه كـالمستجـير من الـرمضـاء بـالنـار[٢٣٠]

وقد جاءت هذه الاشارة في قوله متغزلا :

لَعَمْـرٌ مع الـرمضـاء والنـارُ تلتـظي أرقُ وأحفى منك في ساعـة الكرب[٢٣١]

وعلى الطريقة نفسها يأتى قول أبي تمام مادحاً نصر بن منصور بن بسام :

بسيْـبِ أبي العبـاس بُـدِّل أزْلُنـا بخفضٍ وصرنـا بعد جـزرٍ إلى مـدّ
غَنِيتُ بـه عمـن سـواه وحـولت عِجـافُ ركابي عن سُعَيْـدٍ إلى سعد[٢٣٢]

وقد أشار فيه إلى المثل المشهور « انجُ سعد فقد هلك سُعَيْد » كما يشير أبو تمام إلى « عنقاء مغرب » في موضعين من شعره هما قوله في مدح الحسن بن وهب :

---

(٢٢٥) ديوان الفرزدق ١/٢٠١ .
(٢٢٦) الديوان ٨٧٩ .
(٢٢٧) مجمع الأمثال ٢/٢٠٧ والمستقصى ٢/٢٩٣ .
(٢٢٨) الديوان ٥٩٢ .
(٢٢٩) مجمع الأمثال ٢/١٤٩ .
(٢٣٠) مجمع الأمثال ٢/١٤٩ (الهامش) .
(٢٣١) الديوان ٧٢٣ .
(٢٣٢) الديوان ٧٢٣ .
(٢٣٣) المستقصى ١/٣٨٤ .

حمدٌ حُبيتَ بـه وأجـرٌ حلَّقَتْ من دونـه عنقـاءُ ليـلٍ مُغْـرب[٢٣٤]

وفي قوله راثيا :

يـا دهـر أيـة زهـرة لـلمجـد لم تُجفِفْ وأيـة أيـكـةٍ لم تَخْضِـدِ
أشـرعْتَ للعنقـاء في أشعـافهـا كـأسـا تـدفّق بـالـذّعـاف الأسـود[٢٣٥]

وعنقاء مغرب طائر خرافي ضخم ، يضرب به المثل في الإغراب والبعد فيقال : « طارت به عنقاء مغرب »[٢٣٦].

وعلى النسق نفسه في الإشارة إلى بعض الأمثال يتحدث عن قاض من سدوم عرف بظلمه فقيل « أجور من قاضي سدوم »[٢٣٧] وذلك حين ينعىٰ على الدهر ظلمه له بقوله :

فـإن أك قـد حللْتُ بـدار هـون صبـوت بهـا فقـد يصبـو الحليم
ألـومك ، لا ألـومُ سـواك ، دهـرا قضىٰ لي بـالـذي يـقضي سـدوم[٢٣٨]

وقد يشير أحيانا إلى أقوال تذهب مذاهب الأمثال ، ولكننا لم نجدها مثبتة في كتابي الميداني والزمخشري (مجمع الأمثال والمستقصى من أمثال العرب) من ذلك استشهاده بالقول « قد يُقدم العَيْر من ذعر على الأسد » ذلك أن العَيْر اذا شم رائحة الأسد وثب عليه فزعا ،[٢٣٩] وقد جاء ذلك في قوله هاجيا أحد الشعراء :

أطلت روعك حتى صرت لي غرضا قد يُقدم العَيْر من ذعر على الأسد ![٢٤٠]

وعلى النسق نفسه استخدم القول : « ضربة لازم » في موضعين من شعره مرة في رثائه لقاسم بن طوق :

وهل من حكيم ضيّع الصبر بعدمـا رأى الحكماء الصبرَ « ضربة لازم »[٢٤١]

ومرة في رثاء هاشم بن عبد الله الخزاعي :

---

(٢٣٤) الديوان ٥٨ .
(٢٣٥) الديوان ٦٥٧ .
(٢٣٦) المستقصى ٢/١٥٠ وأنظر حياة الحيوان الكبرى ٢/١٦٢ .
(٢٣٧) سدوم مدينة قديمة يقول بعضهم انها سرمين من أعمال حلب ، وقاضيها كان باغياً ـ انظر مجمع الأمثال ١/١٩٠ ومعجم البلدان ٣/٢٠٠ .
(٢٣٨) الديوان ٩٣٢ .
(٢٣٩) انظر شذرات الذهب ٢/٧٤ .
(٢٤٠) الديوان ٨١٧ .
(٢٤١) الديوان ٥٥٩ .

أهاشم صار الدمع « ضربَة لازم » وما كان لولا أنتَ ضربة لازم[٢٤٢]

مع الثقافة العلمية :

أشرنا في مطلع البحث إلى ثقافة أبي تمام الواسعة ، وأنها لم تقتصر على الجوانب الأدبية وحسب ، بل امتدت لتشمل علوما ومعارف عديدة ، ذلك أن القرن الثالث الذي تفيأ أبو تمام ظلال الثلث الأول منه كان عصر انتشار العلوم وتنوعها ، وقد تركت هذه العلوم طوابعها على كثير من أدباء ذلك العصر ورجالاته ، ومنهم أبو تمام الذي عرف شعره إشارات تدل على اطلاعه الواسع على عدد من العلوم المختلفة ، نشير منها إلى العلوم التالية :

١ ـ الفلسفة والعقائد والعلوم الإسلامية :

المطلع على شعر أبي تمام يكتشف أن زاده مِن هذه العلوم غنيٌّ وأن اتساع الاشارات المتصلة بها وتنوعها يؤكد ذلك ، ففي نطاق الفلسفة نراه يعزو إلى نفسه ذَكاء يفوق فطنة الفلاسفة ، وهم ما هم في اتقاد الذهن وعمق الفكر :

ليت شعري ماذا يَريبُكَ مني ولقد فقْتُ فِطنة الفيلسوف[٢٤٣]

كما يشير أحيانا إلى مصطلحات هي من صميم مصطلحات الفلسفة وذلك مثل إشارته إلى الجوهر والعرض في قوله مادحا :

صاغَهم ذو الجلال من جوهر المجـ ـدِ وصاغ الأنام من عَرَضه[٢٤٤]

وإلى الخصوص والعموم في قوله :

لن ينال العُلىٰ خصوصا من الفِتْـ ـيان من لم يكن نداه عموما[٢٤٥]

وإلى الحركة والسكون في قوله :

إنسيّة جنّية كثرت بها حَرَكاتُ أهل الأرض وهي سكون[٢٤٦]

---

(٢٤٢) الديوان ٧٠١ .

(٢٤٣) الديوان ٨٩٥ .

(٢٤٤) الديوان ٣٤٥ .

(٢٤٥) الديوان ٨١٧ (وانظر عن الجوهر والعرض كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٢٨٨ والتعريفات ٧٩ و ٢٤٩ وعن العموم والخصوص الكشاف ٢ / ٢٠٠ والتعريفات ٩٨ و ١٥٧ وعن الحركة والسكون الكشاف ٢ / ٩١ والتعريفات ٨٤ و ١٢٠ .

كما يورد اشارات تتصل بمصطلحات من الفلسفة وعلم الكلام من ذلك اشارته إلى « الشك واليقين » في قوله مادحا :

لَـو انَّ هذا الفتـحَ «شكٌّ» لاشتفت منـه القلوب فكيف وهـو «يقـين»[٢٤٧]

كما يورد إشارات تتصل بالفلسفة وعلم الأصول ، وذلك في إشارته إلى « القياس » في قوله :

مـا كـان خـبرني القيـاسُ ببـاطـل عنكم ولكـنْ جُـرْتُ في التـقليـد[٢٤٨]

ويشير أيضا إلى « التجريد » في قوله :

بِـكْـرٌ ، إذا جـرَّدْتَ في حسنهـا فكـرَكَ دلتْـكَ عـلى الـصـانـع[٢٤٩]

أما في استخدامه لأساليب المنطق فانه يورد تعبير « لا شيء » في سياق جدلي ، من أمثلته قوله رادّاً على عبد الصمد بن المعذل :

أَفِيَّ تنـظم قـول الـزور والفـنـد وأنت أنقص من «لاشيء» في العدد[٢٥٠]

فلما قرأها ابن المعذل قال : « ما أحسن علمه بالجدل ، أوجب زيادة ونقصانا على معدوم »[٢٥١]

كما يورد التعبير نفسه في موطنٍ آخر حين يقول معرضا بمن احتجب عنه :

هَبْ من لَـهُ شيء يـريـد حجابـه مـا بـالُ «لاشيءٍ» عليـه حجـاب[٢٥٢]

وقياسا على تعبير « لا شيء » يستخدم تعبير « لا أحد » في هجاء عتبة بن أبي عاصم ، ومستخدما الأسلوب الجدلي نفسه :

مـا كنت أحسب أن الـدهـر يمهلني حتى أرى أحـداً يهجـوه «لاأحـد »[٢٥٣]

وكما كان أبو تمام واسع الاطلاع على الفلسفة وعلم الكلام فانه كان على معرفة بالفرق المختلفة وعقائدها ويكثر من الاشارات إليها وإلى مصطلحات من عقائدها ، فنراه يشير إلى مفهوم « التوحيد » أحيانا وإلى مفهومي « العدل والتوحيد » أحيانا أخرى ، وهذان المفهومان هما من

---

(٢٤٧) الديوان ٦٠٢ وانظر عن الشك واليقين التعريفات ١٢٨ و ٢٥٩ .

(٢٤٨) الديوان ٨١٤ .

(٢٤٩) الديوان ٣٦٤ .

(٢٥٠) الديوان ٨١٧ .

(٢٥١) وفيات الأعيان ١٣/٢ .

(٢٥٢) الديوان ٣٤٦ .

(٢٥٣) الديوان ٨١٢ .

الأصول الخمسة في عقائد المعتزلة وهي « القول بالتوحيد ، والقول بالعدل ، والقول بالوعد والوعيد ، والقول بالمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[٢٥٤]، وقد جاء مفهوم القول بالتوحيد في إحدى مدائحه لأحمد بن أبي دؤاد وهو من وجوه المعتزلة ، حين استغل فرصة إبْلاله من مرض ألم به مشيرا إلى انه قد كسب أجرين دون عمل منه ؛ أحدهما أجر المشقة عن المرض وثانيهما أجر عقيدته في التوحيد :

أجرٌ أتاك ولم تعمل له ، وبَلاً ... فكرُ المقيم على « توحيده » عمل[٢٥٥]

وفي قصيدة أخرى له في مدح أحمد بن أبي دؤاد نفسه يذكره بأصول مذهبه الذي بذل له وعانىٰ من أجله ما لم يُعانِهِ قبله حاتم الطائي وكعب بن مامة الايادي ، في سعيهما لاكتساب المجد وتسجيل المحامد :

كعبٌ وحاتمٌ اللذان تَقَسَّما ... خططَ العلى من طارفٍ وتليد
ما قاسيا في المجد إلا دون ما ... قاسيْتَه في العدل والتوحيد

وعن الجبرية وأصحابها وهم فرقة لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل ، وتعتبر أنه مسيّر لا مخير[٢٥٧] فقد أكثر من الإشارة إليها وإلى بعض فروعها ، من ذلك قوله في مدح أبي دلف العجلي :

جحافل لا يتركْنَ ذا «جبرية» ... سليما ولا يحربن من لم يحارب[٢٥٨]

ومنه قوله في تعزية مالك بن طوف عن أخيه قاسم :

وفاجع موت لا عدوا يخافه ... فيبقى ولا يبقى صديقا يجامله
وأي أخي عزَّاءَ أو « جبرية » ... ينابذه أو أي رام يناضله[٢٥٩]

ومنه أيضا قوله في سياق من الحكمة :

فان نك أُهملنا فأضعِفْ بسعينا ... وان نَكُ أُجبرنا ففيم نتعتع[٢٦٠]

---

(٢٥٤) انظر ضحى الإسلام ٣/٢١ .
(٢٥٥) الديوان ٤٣٩ .

(٢٥٧) انظر الملل والنحل ١/٨٥ .
(٢٥٨) الديوان ٨٦ .
(٢٥٩) الديوان ٦٨٨ .
(٢٦٠) الديوان ٣٤٨ .

ويتحدث عن « الجهمية » وهم فرع من الجبرية ينسبون إلى « جهم بن صفوان »[٢٦١] وذلك في وصفه للخمرة التي تحكم تصرفات شاربيها ، وتسلبهم إراداتهم فكأنهم ممن يقولون بالجبْر :

«جهمية» الأوصاف إلاّ أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء[٢٦٢]

أما في مدحه لأبي سعيد الثغرى فينسبه إلى التقوى والكرم ممثلا له بعلمين من أعلام الفرق الاسلامية أحدهما عمرو بن عبيد وهو رأس من رؤوس المعتزلة وعرف بالتقوى والزهد[٢٦٣] والآخر جهم بن صفوان رأس الجهمية :

عَمْريُّ عظم الدين جهميّ النّدى ينفي القوى ويثبّت التّكليفا[٢٦٤]

أما « القدرية » وهم فئة من المرجئة يرأسهم غيلان بن مروان وهو يرى ان القدر خيره وشره من الله[٢٦٥] فإن أبا تمام يشير الى عقيدة غيلان هذا حين يهجو عياش بن لهيعة ويؤكد انه مفطور على المعايب :

لم يخطىء الرأيَ «غيلان» وشيعته إن لم تكن أخطأت فيك المقادير[٢٦٦]

وإلى « الجعفرية » وهم فرقة من الشيعة تنسب إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر وقد غالى أصحابه فيه ونسبوا إليه معرفة الغيب[٢٦٧] وإلى الجعفرية هؤلاء يشير أبو تمام حين يمدح أبا سعيد الثغري :

فلو صح قول «الجعفرية» في الذي تنص من الإلهام خلناك ملهما[٢٦٨]

أما الشيعة فيذكر من مناسكهم أنهم في صلاة الجنازة يكبرون خمس تكبيرات لا أربعا على طريقة السنة[٢٦٩] وذلك في رثائه لإدريس بن بدر الشامي القرشي :

ولم أنسَ سعيَ الجود خلف سريره بأكسفِ بالٍ يستقيم ويظلع

---

(٢٦١) انظر الملل والنحل ١/ ٨٥ .

(٢٦٢) الديوان ١٩ .

(٢٦٣) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٦ ومفتاح السعادة ٢/ ١٤٤ .

(٢٦٤) الديوان ٢٧٩ .

(٢٦٥) انظر الملل والنحل ١/ ١٤٢ وانظر الفصل في الملل والنحل ٤/ ٨٠ .

(٢٦٦) الديوان ٨٢٧ .

(٢٦٧) أنظر الملل والنحل : ١٦٥ وحلية الأولياء ٣/ ١٩٤ .

(٢٦٨) الديوان ٥٤٧ .

(٢٦٩) انظر حول التكبيرات الخمس في الجنازة شرائع الإسلام ٦٣ والنهاية في مجرد الفقه والفتاوى للطوسي ١٤٥ .

وتكبيره خمسا عليه مُعالِناً وإن كان تكبيرَ المصلين أربعُ
وما كنت أدري ـ يعلم الله ـ قبلَها بأن النّدى في أهله يتشيّع[٢٧٠]

ومن الخوارج ، يشير إلى الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق وإلى رأسين من رؤوسهم هم قطري بن الفجاءة وشبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني[٢٧١] وذلك في قوله مادحا أبا سعيد الثغري :

لو تقصّوْا أمر «الأزارق» خالوا «قطريا» سما لهم أو «شبيبا»[٢٧٢]

كما يشير إلى المجوس في قوله متغزلاً :

بأبي من اذا رآها أبوها شعفا قال ليت أنا مجوس[٢٧٣]

أما الفقه والعبادات والمناسك فقد أورد أو تمام إشارات كثيرة منها تدل على طول باعه في هذا الميدان ، ففي مدحه للحسن بن وهب يشير إلى أن جوّ إخوانه لا يتم به الصفاء إلا إذا كان موجودا بينهم ، شأنه في ذلك شأن عقد النكاح الذي لا يتم دون وجود وليّ ، وهي قضية فقهية تعرضت لها جميع المذاهب[٢٧٤] :

أرى الإخوان ما غُيِّبْتُ عنهم بمسقط ذلك الشعب القصيّ
ومردودٌ صفاؤُهُمُ عليهم كما رُدَّ النّكاح بلا وليٍّ

كما يشير إلى الفرائض والنوافل في قوله لمحمد بن عبد الملك الزيات :

ووالله لا آتيك إلا فريضة وآتي جميع الناس الا تنفّلا[٢٧٦]

وحين يهيء أبو تمام الخليفة المعتصم بقضائه على بابك الخرمي ، بعد ألوان من التقصير بدت خلال الفترات السابقة لم تسمح لجيوش المعتصم أن تتغلب عليه ، يرى أن قتله يكفر عما سبق من تقصير كما تكفر الصلاة عما قبلها من ذنوب :

أعطى أميرُ المؤمنين سيوفَه فيه الرضا وحكومة المقتال

---

(٢٧٠) الديوان ٦٨٠ .
(٢٧١) أنظر الملل والنحل ١/١١٨ و ١٢٨ .
(٢٧٢) الديوان ٧١ .
(٢٧٣) الديوان ٧٤٤ .
(٢٧٤) لدى الجمهور عدا الأحناف لا ينعقد النكاح بدون ولي للمرأة أخذا بالحديث الشريف « لا نكاح الا بولي وشاهدَيْ عدل » رواه أبو داود والترمذي وأحمد وانظر التاج الجامع للأصول ٢/٢٩٣ وانظر الفقه على المذاهب الأربعة ٤/٢٦ .
(٢٧٥) الديوان ٦٣٠ .
(٢٧٦) الديوان ٤٦٤ .

مستيقنا أن سوف يمحو قتله ما كان من سهو ومن إغفال
مثل الصلاة اذا أقيمت أصلحت ما قبلها من سائر الأعمال[٢٧٧]

كما أنه يشير إلى حَدّ الجلد في الزنا ، وهو الحد المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم مائة جلدة »[٢٧٨]، ويستخدمه أبو تمام في سياق غزلي يقول فيه :

قال ، وعْيني في عينِه راتعةٌ في جنة الخلد
طرفُك زانٍ ، قُلْتُ دمعي إذن يجلده أكثر من حدّ[٢٧٩]

كما يستعير لفظ الصيام في حديثه عن الحرب في قوله :

في معركٍ أما الحِمامُ فمفطر في هبوتيه والكُماةُ صيام[٢٨٠]

أما شعائر الحج والمناسك فالإشارات إليها كثيرة ، منها حديثه عن تحريم الصيد في الحَرَم ومتلاعبا بالألفاظ في معرض غزلي :

بيضاء كان لها من غيرنا حرم فلم يكن نستحل الصيد في الحرم[٢٨١]

وعن استلام الركن والدعاء فيه طلبا للتكفير عن الذنوب ، يقارن بين ذلك وبين أثر السحابة التي يصفها في محو المَحْلِ عن البقاع :

محّاءةٌ للأزمة اللّزوب محو استلام الركن للذنوب[٢٨٢]

ومن بينها إشارات إلى أماكن في الحرم المكي ذكرها خلال مدحه لأبي سعيد الثغري بعد أن عاد من الحج ، ويذكره بما قدمه من خدمات للإسلام حين كان يحطم ديار الكفر ، ويعدد خلال ذلك مواقع من مناسك الحج :

حرم الدين زاره بعد أن لم يُبْقِ للكفر والضلال حريما
حين عفى مقامَ إبليسٍ سامىٰ بالمطايا مقام ابراهيما
حطم الشرك حطمةً ذكّرته في دجى الليل زمزما والحطيما[٢٨٣]

---

(٢٧٧) الديوان ٤٧٧ .
(٢٧٨) سورة النور الآية ٢ .
(٢٧٩) الديوان ٧٣٠ .
(٢٨٠) الديوان ٤٨٧ .
(٢٨١) الديوان ٥٠٧ .
(٢٨٢) الديوان ٩١٣ .
(٢٨٣) الديوان ٥٣٧ .

٢ ـ النحـــــــو :

وردت اشارتان إلى النحو في شعر أبي تمام ، إحداهما عن علاقة الأسماء بالأفعال في قوله عن الخمرة :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كَتَلَعُّب الأفعال بالأسماء[٢٨٤]

والأخرى عن نداء الترخيم في قوله مادحا :

ويدٌ يظل المال يسقط كَيْدُهُ فيها سقوطَ الهاء في الترخيم[٢٨٥]

٣ ـ الطـــب والكيمـــياء :

كما وردت إشارة إلى الكيمياء في قوله :

ما زال يمتحن العلىٰ ويروضها حتى اتَّقَتْهُ بكيمياء السؤدد[٢٨٦]

ومن الطب إشار إلى « المُرْقِد » وهو ما نسميه اليوم « المخدر » :

عندي من الأيام ما لو أنه أضحى بشارب مرقد ما غَمَّضَا[٢٨٧]

٤ ـ الفـلك والتطـير والتفـاؤل :

عني العرب منذ جاهليتهم بالنجوم ومواقعها ، وذلك بسبب صلتها المباشرة بحياتهم سواء في الاهتداء بها في حلهم وترحالهم أو في ترصد مواسم الأمطار المرتبطة بها ، وأعطوا لبعض النجوم سمات وربطوا بعضها بقضايا أو بمواسم ، فكان المِرْزَمان ، نجمين ينسب إليهما المطر ومثلهما السماكان ، وعدّوا المشترى والزهرة من كواكب السعد ، وزحلا والمريخ من كواكب النحس ، كما نسبوا الظرف إلى عطارد وقد زعم المنجمون أنه يتولى الكتاب والشعراء[٢٨٨] وقد جرت على ألسنتهم وفي شعرهم أسماء النجوم والبروج والطوالع ، وكلما زادت حصيلة الشاعر من المعرفة بالنجوم ازداد عدد ما يذكر منها في شعره .

وكان أبو تمام واسع الاطلاع على النجوم ، وكان اطلاعه هذا من مكملات ثقافته الواسعة فنراه

---

(٢٨٤) الديوان ١٨ .

(٢٨٥) الديوان ٥٦٦ .

(٢٨٦) الديوان ٢١١ .

(٢٨٧) الديوان ٣٣٩ .

(٢٨٨) انظر شرح التبريزي للديوان ١/٤٠٦ .

حين يمدح اسحق بن ابراهيم يجعل كفّيه كَنوء المُرزَمَيْن في جودهما بالمطر ، والمرزمان ، كما سلف القول يُعَدّان من نجوم المطر :

لاسحق بن ابراهيم كفّ ... كفت عافِيهِ نَوْءَ المرزمين
وَنُورا سؤددٍ وَجِجاً إذا ما ... رأيتَهما رأيت الشِّعْرَيَيْن
ومجداً لم يدعه الجود حتى ... أقام مناوِئاً للفرقدين[٢٨٩]

وقد أشار إلى المرزم وإلى السماك معا ، في جودهما بالمطر ، حين مدح محمد بن الهيثم بن شبانه ، وجعل ما قلّ من عطائه يوازي أغنى ما يجود به موسم هذين النجمين من مطر :

في قُلِّهِ كُثْرُ السماك وإن غدا ... هطلا وعفْوُ يديْهِ جهد المرزم[٢٩٠]

ويعيد الحديث عن السماك ، في سياق مدحه لكرم محمد بن عبد الملك الزيات :

سأل السِماكَ فجادها بِحيائه ... منه بوبلٍ ذى وميضٍ أوطف[٢٩١]

كما يشير إلى السماك وإلى العيّوق مشيرا إلى ارتفاع موقعهما في السماء من خلال دفاعه عن أبي سعيد الثغري تجاه حساده :

فإليكم بني الضغائن عن سا ... كنٍ بين السّماك والعيّوق[٢٩٢]

ويذكر العيوق مرة أخرى كنجم في السماء في قوله راثيا بني حميد بن قحطبة :

لو خرَّ سيفٌ من العيوق منصلتا ... ما كان إلا على هاماتهم يقع[٢٩٣]

أما المشترى وهو كوكب سعد فإن أبا تمام يذكره في سياق المديح عادة ليقرن حياة ممدوحه بالسعد أو القوة أو الارتفاع ، فهو في دعائه لجعفر بن دينار يطلب له طول الحياة مشابها للمشترى في سعده وفي كرمه :

عش سالما تَبْني العُلا بيدِ الندى ... حتى تكون مناوئا للمشترى[٢٩٤]

---

(٢٨٩) الديوان ٥٩٠ ـ والشعريان نجمان : الشِعْرىٰ العبور أو اليمانية والشعرىٰ الغميصاء أو الشامية ـ والفرقدان : نجمان عاليان (وانظر مفاتيح العلوم ١٢٤) .

(٢٩٠) الديوان ٥٥٥ .

(٢٩١) الديوان ٣٨٤ .

(٢٩٢) الديوان ٤٠٥ .

(٢٩٣) الديوان ٦٧٦ .

(٢٩٤) الديوان ٨٨٣ .

وفي مدح محمد بن الهيثم يعدد بعض شمائله ، فيجعل له سعد المشترى وكبرياءه ، ونور بهرام وهو المريخ وظرف عطارد :[٢٩٥]

لـه كـبريـاء المشـترى وسعـوده وسَـوْرَةُ بَهْـرام وظـرف عـطارد[٢٩٦]

وحين يخاطب صديقه الشاعر علي بن الجهم لما جاء يودعه لسفر أراده ، يُطْري براعته في الشعر ، ويقول له لو كنتُ مصدقا للنجوم لزعمت أنك الولد البكر لعطارد ، وهو النجم الذي عرفنا أنه يتولى الشعراء :

أو كنت يـومـا بـالنجم مصـدّقـا لـزعمت أنك أنت بكـر عـطارد[٢٩٧]

أما زحل ، وهو كوكب نحس ، فيرد ذكره في شعر أبي تمام في معرض الحزن على وفاة صديق ، اذ يقول في رثائه ليحيى بن عمران القمى :

إحـدى المصائب حلت في ديـار بني عمـران ليس لهـا أخت ولا مثـل
ألـوىٰ بتيجـانهم يـومٌ أتيـح لـه نـحس وأثقـب فيـه نـاره زحـل[٢٩٨]

أما وقت حلول الشمس في برج الحمل ، فهو نقطة الاعتدال الربيعي[٢٩٩]، وأيام نضارة الزمان وقد احتفىٰ الفرس به وجعلوه أول سنتهم وسموه بالنيروز[٣٠٠].

وقد أشار أبو تمام إلى هذا التوقيت في تعريضه بأناس بُخَلاء نالوا الذم ببخلهم ، وبقيتْ لهم أموالهم ، فديارهم مجدبة على الرغم من حلول الربيع :

أضحَوْا بمستنّ سيل الـذمّ وارتفعت أمـوالهم في هضـاب المـطل والعلل
من كل أظمى الثرى والأرض قد نهلت ومقشعرّ الربا ، والشمس في الحمل[٣٠١]

ونجد أبا تمام يعدد أسماء لنجوم أخرى ولعدد من الأبراج في ثنايا شعره ، فمن إشاراته إلى النجوم نراه يذكر الثريا والشعرى في قوله مادحا :

---

(٢٩٥) انظر مفاتيح ١٢٢ (ومن أسماء المريخ بهرام) .
(٢٩٦) الديوان ٢١٨ .
(٢٩٧) الديوان ١٧٣ .
(٢٩٨) الديوان ٦٩٨ .
(٢٩٩) أنظر مفاتيح العلوم ١٢٣ .
(٣٠٠) أنظر الشاهنامة ١٠ .
(٣٠١) الديوان ٤٥٩ .

نَـلِ الـثريـا أو الشعـرى فليس فتى لم يُغْنِ خمسـينَ إنسـانـا بـإنسـانِ[٣٠٢]

كما يذكر الجوزاء مرة في قوله واصفا مشاق رحلة قاساها :

تعسفْتُهـا والليـلُ مـرخ جـرانـه وجـوزاؤه في الأفق حين استقلت[٣٠٣]

ويذكرها مرة أخرى حين يتحدث عن سوء حظه في الحياة على الرغم من علو همته التي تداني الجوزاء في سموها :

فثـويْتُ جـارا لـلحضـيض وهمتي قـد طُـوَقَتْ بكـواكـب الجـوزاء[٣٠٤]

أما بنات نعش وهي التي تسمى الدب الأصغر فهي سبعة نجوم ثلاثة منها تسمى النعش والأربعة الأخر تسمى بنات نعش[٣٠٥]، ولا يعرف هذا التقسيم لبنات نعش الا من كان ذا اطلاعٍ واسع على الفلك ، وقد أورد أبو تمام ذكرا لنعش ولبنات نعش في قوله :

وبنـاتُ نعش ونعشٌ لا كسوف لهـا والشمس والبدر منه الدهر في الرِقَمِ[٣٠٦]

ومن الأبراج ومنازل القمر نراه يشير إلى الدلو والحوت والبطين وسعد البالع في قوله مادحاً نسب نوح بن عمرو السكسكي :

منـاسـب تحسـب في ضـوئـهـا مـنـازلا لـلقـمـر الـطالـع
كـالـدلـو والحـوت وأشراطـه والـبـطن والـنـجـم إلى الـبـالـع[٣٠٧]

كما يشير إلى برجي الثور والحمل وإلى نجمي المشترى وزحل مادحا المعتصم :

أبـو النجـوم التي مـا ضـلّ ثـاقُبهـا أن لم يكن بـرجَـه ثـورٌ ولا حمـل
من كـل مشتهـر في كـل معـترك لم يعـرف المشـتري منـه ولا زحـل[٣٠٨]

أما الحديث عن السعود والنحوس ، وارتباطها بالنجوم ، والطوالع والأبراج فانه يرد في شعر أبي تمام مقابلا في كثير من الأحيان بين السعد والنحس ، من ذلك قوله مادحا :

---

(٣٠٢) الديوان ٦١٢ .
(٣٠٣) الديوان ١٢٥ .
(٣٠٤) الديوان ٢٠ .
(٣٠٥) أنظر مفاتيح العلوم ١٢٣ .
(٣٠٦) الديوان ٥٧٦ .
(٣٠٧) الديوان ٣٦٤ .
(٣٠٨) الديوان ٣٦٤ .

تجـرى السعـود لـه من كـل نـائبـة نابت وإن كان يوم البؤس منحوسـا[٣٠٩]

ومنه قوله متحدثاً عن حظه الذي اتسم بالسعادة يوم لاقى ممدوحه :

زوجت أمـري بالسعـود فـأصبحت منـه النحـوس النُكّـدُوهي طـوالق[٣١٠]

ومنه قوله مادحاً المأمون :

خـاب امـرؤ نحس الـزمـان بسعيـه فـأقـام عنـك وأنت سعـد الأسعـد[٣١١]

ومنه قوله لأبي سعيد الثغري :

وآب عـلى سعـد السعـود بـرحله عتـاق المذاكي والقـلاص الرواتـك[٣١٢]

ومنه قوله له أيضا :

ولقـد وفـدت عـلى الخليفـة وفـدَةً كـانت عـلى قَـدَرٍ بسعـد الأسعـد[٣١٣]

وأبو تمام الذي لا يؤمن بالتنجيم ولا يصدق المنجمين ، كما عرفنا من قبل حين تحدث عن علي بن الجهم ، يؤكد كفره بالتنجيم وبالمنجمين حين يمدح المعتصم بعد انتصار في معركة عمورية التي حذره المنجمون من خوضها في الوقت الذي سافر فيه إليها ، وقدّموا له مزاعم تقتضي عدم الإقدام على ذلك ، فهو يعرض أقوال هؤلاء المنجمين ويسفهها في الأبيات العشرة من مطلع قصيدته هذه ، ومنها :

وصـيّروا الأبـرج العليـا مـرتّبـةً مـا كـان منقلبـا أو غـير منقلب[٣١٤]

ولكنه يستعير منطقهم وقولهم بالسعود وبالنحوس في بيت آخر يشمت فيه بما آله إليه حال هذه المدينة ، ويربط ذلك بالزجر الذي يقول به العرب في جاهليتهم فيتفاءَلونَ بالسانح أو السنيح وهو ما مرّ بهم ميامنةً من طير وحيوان ويتشائمون بالبارح وهو ما مرّ بهم مياسرة منها[٣١٥] ، فهو يرى أن الفأل قد جرى بَرْحا بهذه المدينة :

جـرى لها الفـأل بـرْحـاً يـوم أنقـرةٍ إذ غودرت وحشة الساحات والرحب[٣١٦]

---

(٣٠٩) الديوان ٣١٧ .

(٣١٠) الديوان ٤٠٩ .

(٣١١) الديوان ٢١٢ .

(٣١٢) الديوان ٤١٥ .

(٣١٣) الديوان ٢٥٦ .

(٣١٤) الديوان ٢٣ .

(٣١٥) انظر صبح الأعشى ٢/٤٥٤ والعقد الفريد ٢/٣٠٣ .

(٣١٦) الديوان ٢٥ .

ولأبي تمام إشارات في الزجر ، ومن الحديث عن السانح والبارح ذكر الزجر في مدحه لأبي سعيد الثغري :

لحقتَهُما في ساعة لو تأخرَتْ لقد زجر الإسلام طائر أشأما[٣١٧]

ومنه قوله مشيراً إلى السانح والبارح من خلال هجائه لشخص فرّ من احدى المعارك :

في حيث يلقى الرمح يشرع في نطف الكلى والمرهف العضبا
والخيل سانحة وبارحة والموت يغشىٰ الشرق والغربا[٣١٨]

كما يشير إلى السانح مربوطا بالسعد في قوله راثيا عمير بن الوليد :

فما زجرت طيورك عن سنيح ولا طلعت نجومك بالسعود[٣١٩]

ويشير إلى البارح مربوطا بالنحس في قوله :

أروع لا من رياحه الحرجف الـ . . . صِرّولا من نجومه النحس[٣٢٠]

مع معارف أخرى :

آفاق ثقافة أبي تمام غير محدودة ، وألوان المعرفة التي تعيها ذاكرته والتي تنطلق على لسانه في شعره متعددة ، ومنها من غير ما ذكرناه ، معرفته بعِرابِ الإبل والخيل وأصايلها ، فنراه يكثر من ذكر الجديل وشدقم وهما فحلان من الإبل كانا للمنذر بن ماء السماء وإلى ثانيهما يشير أبو تمام في قوله واصفاً مطايا ممدوحه أبي سعيد الثغري :

سَوارٍ إذا قاتلْنَ ممتنعَ الفلا جعل الشعارَيْنِ الجدَيلَ وشدقما[٣٢١]

وفي قوله متحدثا عن نفسه :

أبى الحزْم لي مُكْثاً بدار مَضِيعَةٍ وعنسٌ أبوها شدقم وجديل[٣٢٢]

وفي قوله مخاطبا إسحق بن ابراهيم وانه قطع الطريق إليه على مطايا أصيلة :

---

(٣١٧) الديوان ٥٤٧ .
(٣١٨) الديوان ٨٠٠ .
(٣١٩) الديوان ٦٥٧ .
(٣٢٠) الديوان ٣٠٨ .
(٣٢١) الديوان ٥٤٢ .
(٣٢٢) الديوان ٩٠٢ .

طَلَبْتُكَ من نسلِ الجديل وشدقم كُوم عقائل من عقائلَ كُومِ[٣٢٣]

ويكتفي بذكر الشدقمية في موطن آخر مشيرا إلى اجتيازها إلى الممدوح رياضاً مُمْرِعَةً تركت آثار خضرتها على أعضائها :

وكأنني بالشدقمية وسطه خضر اللُّهى والوُظْف والأخْفافِ[٣٢٥]

وعدا الجديل وشدقم يورد أبو تمام ذكرا لنجائب أخرى منها « الأرحبيّ » الذي تنسب إليه النجائب الأحبيات[٣٢٦] وذلك في قوله :

فعوجا صدور الأرْحبِيّ وأسهلا بذاك الكثيب السهل والعلم الفرد[٣٢٧]

ومنها « الداعري » وهو فحل منجب تنسب إليه « الداعريات »[٣٢٨] :

وبساط كأنما الآل فيه وعليه سحلُ الملاء الرّحيضُ
يصبح الداعري ذو المِيْعةِ المِرْ..م.جَمُ فيه كأنه مأبوض[٣٢٩]

وكما يكثر من ذكر الإبل النجائب يكثر من ذكر الخيل الأصائل فيشير إلى « أعوج » وهو فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات ويقال إنه من نسل أحد خيول سليمان عليه السلام[٣٣٠] وذلك في قوله مادحاً المأمون ، ومشيرا إلى عِرابِ خيوله ومطاياه التي تُقرّب إليه المسافات ويذكر مع أعوج هذا ونسلِهِ من الأعوجيات الإبلَ الشدقمية :

الشرق غرب حين تلحظ قصده ومخالف اليمن القصي شآمُ
بالشدقميات العِتاق كأنما أشباحُها بين الإكام إكام
والأعوجيات الجياد كأنها تَهْوي وقد وَنَتِ الرياح سَمامُ[٣٣١]

ويشير إلى « أعوج » مرة أخرى ويقرن الحديث عنه بالحديث عن جواد آخر أصيل هو « لاحق »[٣٣٢] ويأتي بذكرهما في معرض هجاء لشخص تعرَّضَ له :

---

(٣٢٣) الديوان ٥٦١ والكوم القطعة من الإبل مفردها الكوماء وهي الناقة العظيمة السنام .

(٣٢٥) الديوان ٣٨١ .
(٣٢٦) انظر القاموس المحيط (رحب) .
(٣٢٧) الديوان ٢٤١ .
(٣٢٨) انظر القاموس المحيط (دعر) .
(٣٢٩) الديوان ٣٣٢ والبساط الأرض الواسعة والمسحل الرحيض الثوب المغسول والمأبوض المربوط .
(٣٣٠) انظر القاموس المحيط وانظر العقد الفريد ٢/١٥٨ .
(٣٣١) الديوان ٤٨٩ والسمام الخفيف من كل شيء . (٣٣٢) الديوان ٨١٢ .

لـو اعتدى أعـوج يعدو بـه المَرَطىٰ أو لاحـق لـتـمـنىٰ أنـه وتَـدُ

ويضيف جوادين آخرين مشهورين أيضا هما الأشقر وهو فرس لمروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية والذائد وهو من نسل جواد آخر مشهور اسمه الحرون وكان لمسلم بن عمرو الباهلي[٣٣٤]، وذلك في تقريظه لصديقه الشاعر علي بن الجهم :

لـو كنت طِـرْفـاً كنت غـير مـدافـع لـلأشـقـر الجعـدي أو لـلذائـد[٣٣٥]

أما معرفة أبي تمام بالأماكن ، وبخاصة ما كان منها في الجزيرة العربية فهي معرفة واسعة ووثيقة ، جاءته دون شك من كثرة قراءاته في مأثورات التراث ، فمن الجبال يذكر رضوى وهو جبل بالمدينة وثهلان وهو جبل بالعالية في بلاد نمير[٣٣٦]، جاء ذلك في سياق مدح لصديق له يرجو منه حاجة عند أخ له :

وحـسـبـه بـك الا أن هـمـتـه أن يقتني مـع رضوىٰ طـرد ثهـلان[٣٣٧]

كما يذكر من الجبال أبان وهو جبل لبني فزارة و«يلملم» وهو جبل بالطائف[٣٣٨]، وقد وصف بهما عزة ممدوحه مالك بن طوق منددا بمن يحاولون ان ينافسوه :

ولقـد جهـدتـم أن تـزيلوا عـزّه فـاذا «أبانٌ» قـد رسـا «ويَلَمْلَم»[٣٣٩]

كما يشير إلى جبل شَمام وهو جبل لباهله في قوله مادحا :

وأبـقـى مـآثـر محـمـودةً مـعـمَّـرَةً عـمـرَ رُكْـنَيْ شـمام[٣٤٠]

ويعيد ذكر هذا الجبل مرة أخرى قارنا به جبل قدس[٣٤١] :

إن أصبحت هضبات قدس أصابها قَـدَرٌ فـمازالـت هـضـاب شـمام[٣٤٢]

---

(٣٣٤) أنظر القاموس المحيط (ذود) .

(٣٣٥) الديوان ١٧٣ .

(٢٣٦) الديوان ١٧٣ .

(٣٣٧) الديوان ٦١٣ .

(٣٣٨) انظر حول أبـان (معجم البلدان ٦٢/١) والقامـوس المحيط وانظر حـول يلملم معجم البلدان (٤٤١/٥) .

(٣٣٩) الديوان ٥١٨ .

(٣٤٠) الديوان ٥٨٢ .

(٣٤١) انظر القاموس المحيط .

(٣٤٢) الديوان ٥٢٢ .

كما يؤلف بين رضوى وقدس ويذبل مضيفا إليهما جبلا آخر هو « معتق » وهو جبل في ديار بني عقيل وديارهم قرب أرض الشام[٣٤٣] ويعدد هذه الجبال في سياق مِنْ مدحه لمحمد بن عبد الملك الزيات :

فما هضبتا رَضْوىٰ ولا ركن معتق ... ولا الطَوْدُ من قدس ولا أنف يذبلا
بأثقل منه وطأةً حين يغتدى ... فيُلقي وراء المُلْك نحرا وكلكلا[٣٤٤]

ومن الأماكن يذكر اللوى والشرْبُب وهما واديان في ديار بني سليم ، وقد جاء ذكر اللوى كثيراً في شعر الجاهليين ومَنْ بعدهم :

لله ليلتنا وكانت ليلة ... ذخرت لنا بين اللوى والشربب[٣٤٦]

كما نراه في احدى قصائده يجمع بين عدد من البقاع التي تتصل بمناسك الحج منها البطحاء ومنىٰ وعرفات وحراء وكداء ، وقد جاءت خلال أبيات يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني :

سيل طما لو لم يذده ذائد ... لتبطّحت أولاه بالبطحاء
وغدت بطون مِنىً مُنىً من سيْبِه ... وغدت حَرىً منه ظهوُر حراء
وتعرَّفتْ عَرَفات زاخره ولم ... يُخْصَصْ كُداءٌ منه بالإكداء[٣٤٧]

أما القاصرة ، وهي موضع على طريق السائر من مكة المكرمة إلى مصر ، ويذكر أصحاب السِيَر أن عتبة بن أبي لهب سافر إلى مصر فأكله السبع هناك[٣٤٨] ، أما القاصرة هذه فإن أبا تمام يذكرها مستحضرا في ذهنه قصة أكل الأسد لعتبة ، ويوظف ذلك في شماتته بموت عياش بن لهيعة ، اذ كان يتمني لو لم يكن الموت قد اختطفه ، إذاً كان هو قد جرّعه الموت ، شأنه في الفتك به شأن الأسد في فتكه بعتبة :

قد كانت الدنيا شفت لوعتي ... منك ولكن عُذْتَ بالآخرة
يا أسد الموت تَخَلّصْته ... من بين لَحْيَيْ أسدِ القاصرة[٣٤٩]

---

(٣٤٣) انظر معجم البلدان ٥/١٥٤ .
(٣٤٤) الديوان ٤٦٣ .
(٣٤٥) انظر معجم البلدان ٥/٢٣ و ٣/٣٣٢ .
(٣٤٦) الديوان ٤٠ .
(٣٤٧) الديوان ١٣ .
(٣٤٨) انظر شرح التبريزي للديوان ٤/٣٦٣ .
(٣٤٩) الديوان ٣٦٢ .

إن الميادين التراثية التي صال أبو تمام وجال في رحابها كانت من السعة والتنوع بحيث أمدته بذخرة غنية من المعلومات ، لا تتأتىٰ عادة إلا لإنسان واسع الاطلاع غزير الثقافة ، ولقد كان أبو تمام يجمع إلى معرفته العميقة بتراث الأجداد ، جاهلييهم وإسلامييهم ، إلماما بمعارف عصره وتياراته واتجاهاته ، وقد أحسن توظيف ما ثَقِفَهُ ذهنه وما اختزنته ذاكرته توظيفاً حيا يشهد به كل من قرأ شعره ، وان الإشارات التي استلهمها أبو تمام من التراث يمكن أن تمثل موسوعة معرفية لم تتح إلا للقليلين من أمثاله من الشعراء .

ثبت المراجع والمصادر

(١) أخبار أبي تمام : الصولي ـ تحقيق خليل محمود عساكر ـ بيروت ـ د . ت .
(٢) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ـ علي عشرى زايد ليبيا ـ ١٩٧٨ .
(٣) أسد الغابة : ابن الأثير ـ دار الشعب ـ مصر ـ ١٩٧٠ .
(٤) الإصابة : ابن حجر ـ بيروت ـ د . ت .
(٥) الأعلام : خير الدين الزركلي ـ بيروت ١٩٨٤ .
(٦) الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ـ دار الكتب ـ مصر .
(٧) الأمالي : أبو علي القالي ـ بيروت ـ د . ت .
(٨) أيام العرب في الإسلام : محمد أبو الفضل ابراهيم وآخر بيروت د . ت .
(٩) أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى وآخرون ـ بيروت د . ت .
(١٠) البداية والنهاية : ابن كثير ـ بيروت . د . ت .
(١١) التاج الجامع للأصول : منصور علي ناصف ـ بيروت ـ ١٩٦١ .
(١٢) تاريخ الأمم والملوك : الطبري ـ بيروت ـ د . ت .
(١٣) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ـ بيروت ـ د . ت .
(١٤) التعريفات : الشريف الجرجاني ـ بيروت ـ د . ت .
(١٥) جمهرة أنساب العرب : ابن حزم ـ دار المعارف مصر ـ ١٩٨٢ .
(١٦) حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ ١٩٨٥ .
(١٧) حياة الحيوان الكبرى : الدميري ـ بيروت ـ د . ت .
(١٨) خزانة الأدب : البغدادي ـ دار صادر ـ بيروت ـ د . ت .
(١٩) ديوان أبي تمام (شرح إيليا حاوى) وعلى هذه النسخة تم اعتماد ترقيم الشواهد في الهوامش .
(٢٠) ديوان أبي تمام (شرح الخطيب التبريزي) ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٥ .
(٢١) ديوان أبي تمام (شرح محمد محيي الدين عبد الحميد) .
(٢٢) ديوان الفرزدق ـ بيروت ـ ١٩٨٤ .
(٢٣) دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .
(٢٤) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ السويدي ـ بيروت ـ ١٩٨٦ .

(٢٥) السيرة الحلبية : الحلبي علي بن برهان الدين ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د . ت .
(٢٦) سيرة ابن هشام : تعليق طه عبد الرؤوف سعد ـ بيروت ـ د . ت .
(٢٧) الشاهنامة : الفردوسي ـ ترجمة سمير مالطي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨١ .
(٢٨) شذرات الذهب : ابن العماد ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .
(٢٩) شرائع الاسلام : المحقق الحلي ـ بيروت ـ ١٩٧٨ .
(٣٠) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ـ بيروت ـ د . ت .
(٣١) صبح الأعشى : القلنقشندي ـ بيروت ـ ١٩٨٧ .
(٣٢) صحيح البخاري : (الجامع الصحيح) الأمام البخاري ـ الطبعة المنيرية ـ تصوير عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٨٥ .
(٣٣) صحيح مسلم : (الجامع الصحيح) الامام مسلم بن الحجاج ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د.ت .
(٣٤) ضحى الإسلام : أحمد أمين ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ .
(٣٥) الطبقات الكبرى : ابن سعد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٨٥ .
(٣٦) طبقات الشعراء : ابن سلام الجمحي ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .
(٣٧) العقد الفريد : ابن عبد ربه ـ بيروت ـ ١٩٨٣ .
(٣٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة ـ دار الحياة ـ بيروت ـ د . ت .
(٣٩) فتوح البلدان ـ البلاذرى ـ بيروت ـ ١٩٨٣ .
(٤٠) الفصل في الملل والنحل : ابن حزم ـ تحقيق محمد ابراهيم نصر وآخر ـ بيروت ـ ١٩٨٥ .
(٤١) الفقه على المذاهب الأربعة عبد الرحمن الجزيري ـ بيروت ـ ١٩٨٦ .
(٤٢) القاموس المحيط : الفيروز أبادي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ د . ت .
(٤٣) القرآن الكريم .
(٤٤) كشاف اصطلاح الفنون : التهانوى ـ المؤسسة المصرية العامة ـ مصر ـ ١٩٦٣ .
(٤٥) لسان الميزان : ابن حجر ـ بيروت ـ ١٩٨٨ .
(٤٦) مجمع الأمثال : الميداني ـ بيروت ـ ١٩٧٢ .
(٤٧) مروج الذهب ـ المسعودي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د . ت .
(٤٨) المستقصى من أمثال العرب ـ الزمخشري ـ بيروت ـ ١٩٨٧ .
(٤٩) معاهد التنصيص : عبد الرحيم العباسي ـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ـ التجارية ـ ١٩٤٧ .

(٥٠) معجم البلدان : ياقوت الحموي ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .
(٥١) معجم الشعراء : المرزباني ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ القاهرة ١٩٦٠ .
(٥٢) مفاتيح العلوم : الخوارزمي ـ القاهرة ـ ١٩٨١ .
(٥٣) مفتاح السعادة : طاش كبري زادة ـ بيروت ـ ١٩٨٥ .
(٥٤) الملل والنحل : الشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ بيروت ـ د . ت .
(٥٥) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : الآمدي ـ تحقيق أحمد صقر ـ دار المعارف ـ ١٩٧٢ .
(٥٦) الموطّأ : مالك بن أنس ـ بيروت ـ د . ت .
(٥٧) نسب عدنان وقحطان : المبرد ـ الدوحة ـ قطر ـ ١٩٨٤ .
(٥٨) النهاية في مجرد الفقه والفتاوي الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن : بيروت ـ ١٩٨٠ .
(٥٩) وفيات الأعيان : ابن خلكان ـ تحقيق د . احسان عباس ـ دار الثقافة بيروت ـ د . ت .